أجاثا كريستي

الحب الذى قتل

ترجمة

احمد حسن

الحريــة

للنشر والتوزيع

اسم الكتـــاب	الحب الذى قتل
ترجــمــة	أحمد حسن
الـنـاشـــر	الحرية للنشر والتوزيع
	٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
	ت: ٢٢٦١٥٦٤٦ ـ ٢٥٧٤٥٦٧٩
	م: ١٢٣٨٧٧٩٢١٠.
رقم الإيـداع	٢٠٠٧/٣٥٦٢
الترقيم الدولى	977 - 7200- 49 -9

الحريـــة للنشر والتوزيع

3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة

0123877921 - 25745679

البدايــة

اعتادت مس جين ماربل أن تقرأ جريدتها الثانية بعد الظهر.

إن موزع الصحف يحمل إليها جريدتين كل صباح، فإذا جاء فى الوقت المناسب قرأت الجريدة الأولى وهى ترتشف قدحها المبكر من الشاى. ولكن ما كان يحل محله موزع جديد، أو بديل مؤقت له. ولكل موزع خط سيره الخاص. الذى يعتقد أنه يجنبه ملالة (الروتين). ولكن العملاء الذين تعودوا قراءة الصحف فى وقت مبكر للإلمام بالأنباء الهامة والمثيرة قبل أن يستقلوا الأتوبيس أو القطار أو غيرهما من وسائل المواصلات إلى مقار أعمالهم.. كان يضايقهم أن تصل الصحف متأخرة، أما العجائز من نساء قرية (سانت مارى ميد). فكن يؤثرن قراءة الصحف على مهل وهن يتناولن طعام الإفطار.

وفى اليوم الذى نحن بصدده، تناولت مس ماربل طعام الغذاء وبعد أن غفت قليلاً فى المقعد الذى ابتاعته خصيصًا ليريح ظهرها من آلام الروماتيزم. أخذت تتصفح جريدة (التايمز)..

كان من بواعث ضيقها أن الجريدة لم تعد كالعهد بها، ففيما مضى كان القارئ يعرف أين يجد المقال أو الموضوع الذى يهمه. أما الآن فقد

تخلت الجريدة عن هذا التقليد وخصصت صفحتين أو أكثر للرحلات وأهتمت بابراز أنباء الرياضة.. أما أنباء المواليد والزواج والوفيات التى كانت فيما مضى أول ما يلفت نظر مس ماريل لوجودها فى مكان واضح فقد تنقلت فى صفحات مختلفة ثم استقرت فى النهاية فى الصفحة الأخيرة.

وبدأت مس ماريل بقراءة الأنباء الفرنسية بالصفحة الأولى. ولم يستغرق ذلك وقتًا طويلاً، فقد كانت هى نفس الأنباء التى قرأتها فى الصباح مع فارق واحد هو أنها صيغت فى أسلوب أكثر رصانة.

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتويات العدد، انتقلت مباشرة إلى الصفحة الأخيرة، حيث أنباء المواليد والزواج والوفيات.

وفكرت، كما طالما فكرت من قبل كلما مرت ببصرها على هذه الصفحة:

– من المحزن حقا أن لا يكون هناك الآن ما يثير اهتمامى سوى أنباء الوفيات..

وشرعت فى قراءة أسماء المتوفين بمزيد من العناية، وكانت مرتبة ترتيبا أبجديا:

أنجوباسترو.. أردن.. بارتون.. بورجفاسير. (يا له من اسم المانى..) كاربنتر.. كانتريل. (كانتريل.. أليزابيث كانتريل.. فى الخامسة والثمانين من عمرها.. يا الهى.. كنت أظن أنها توفيت منذ وقت طويل.. من كان يظن أنها عاشت حتى أمس.. رغم هزالها وضعف بنيتها). رادلى. رافيل. (رافيل..؟ جيسون رافيل.؟ إننى أعرف هذا

الاسم).

ونحت الجريدة جانبا، وحاولت أن تذكر أين سمعت اسم رافيل..

قالت لنفسها :

- إنه اسم مألوف. وسأذكر صاحبه حتما.

وأرسلت بصرها عبر النافذة إلى الحديقة..

هذه الحديقة التى منحتها كثيرًا من المتعة.. وكلفتها كثيرًا من الجهد والعمل الشاق سنوات طويلة. إلى أن حظر عليها الأطباء أن تعمل فيها..

لقد حاولت مرة أن تقاوم هذا الحظر، ولكنها وجدت فى النهاية أن من الأفضل لها أن ترضخ لنصيحة الأطباء..

تنهدت وتناولت حقيبة التطريز، وأخرجت منها (جاكيت) من الصوف لطفل صغير، ينقصه الكمان.

إن حياكة كمين متشابهين عمل ممل. ولكن لا بأس. إن منظر الصوف الوردى يبعث على البهجة. صبرا. بماذا يذكرها هذا اللون الوردى.؟ نعم. نعم. إنه يذكرها بذلك الاسم الذى قرأته فى الجريدة.

صوف وردى. وبحر أزرق. وشاطىء رملى. وشمس مشرقة.

وهى تحيك بإبرتها. ومستر رافيل.

طبعا. طبعا. لقد تذكرت الآن.

كان ذلك فى جزيرة (سان أونوريه) بالبحر الكاريبى.. خلال الرحلة الممتعة التى هيأها لها ريموند ابن أخيها..

إنها تذكر جيدا عبارة جوان، زوجة ريموند، حين قالت لها قبيل الرحلة:

- لا تحاولى الاهتمام بجرائم القتل خلال رحلتك يا عمتاه. إن ذلك يؤذى صحتك.

ولم يكن فى نيتها أن تهتم بأية جرائم. ولكن ذلك حدث رغم ارادتها. ووقتئذ: عرفت مستر رافيل. وسكرتيرته مسز وولترز.. وتابعه المدعو جاكسون.

إذن فقد مات مستر رافيل المسكين.

لقد كان يعلم أنه سيموت قريبا. إنه قال لها ذلك.. ويبدو أنه عاش أطول مما توقع الأطباء.

كان رجلاً قوى الارادة، عنيدًا. وعلى جانب كبير من الثراء.

وراحت مس ماربل تعمل بإبرتها وتفكر فى مستر رافيل وتحاول أن تذكر عنه كل ما تسعفها به ذاكرتها.

ولم يكن مستر رافيل من أولئك الذين يسهل نسيانهم.

كان رجلاً صعب المراس، فظا فى بعض الأحيان، غنيًا جدا.

وكانت سكرتيرته وتابعه- وهو فى ذات الوقت مدلك متمرس- يرافقانه أينما ذهب. إنه كان قعيدًا. وبحاجة إلى معونتهما.

وتساءلت مس ماربل، ترى هل ظل جاكسون مع سيده إلى آخر لحظة..؟

فقد كان مستر رافيل مولعًا بالتغيير والتعديل.

وكان سريع التعب من الناس ووجوههم. ولكنه كان نعم الحليف.

لقد عرفت ذلك بنفسها خلال الفترة القصيرة المثيرة التى عملا فيها معا.

وتذكرت مس ماربل، كيف انطلقت تعدو تحت جنح الظلام حتى وصلت إليه.. وكيف ضحك حين رأى الشملة الوردية اللون التى كانت تغطى بها رأسها فى تلك الليلة.

وأطرقت برأسها وغمغمت:

- مسكين مستر رافيل. أرجو ألا يكون قد تألم كثيرًا.

وتذكرت كيف كان يتألم خلال الأسابيع التى قضاها فى الجزيرة. وكيف احتمل آلامه بصبر وشجاعة.

نعم. كان رجلا شجاعا. وعلى الرغم من مرضه وكبر سنه فمن المحقق أن العالم قد خسر شيئًا بفقده.

ولم تكن مس ماربل تعرف شيئًا عن أساليبه فى العمل. فلعله كان فى معاملاته شديد الصلابة والشراسة. ولكنها كانت واثقة من أن فى أعماقه بعض رواسب من الرحمة حرص على ألا تبدو فى نبرات صوته أو قسمات وجهه.

ترى هل كان رب أسرة.؟

إنه لم يتحدث قط عن زوجة أو ولد.. ولعله لم يكن يشعر بالوحدة لأن حياته كانت حافلة مليئة .

وقضت كذلك وقتا طويلا تفكر فى مستر رافيل وتعجب لأمره.

أنها لم تره منذ عودتها إلى انجلترا. ولم تكن تتوقع أن تراه. ولكن لو أنه اتصل بها. واقترح عليها أن يتقابلا. بدافع من احساسه بوجود رابطة بينهما. هى حياة ذلك الإنسان الذى تعاونا على انقاذه فى جزيرة سان أونوريه. أو أية رابطة أخرى من نوع آخر. مثل وحدة الطباع أو..

وكفت عن التفكير فجأة.

مثلاً.. لا يمكن أن يكون بينهما وحدة طباع.. وهى لا يمكن أن يكون لها مثل غطرسته.. وصرامته، وطباعه الفظة..

وفى المساء، كان موضوع مستر رافيل لا يزال يشغل بالها وهى تسير الهوينا بين شجيرات حديقتها.

وحانت منها التفاتة إلى زهرة من نوع معين. فقالت بصوت مرتفع:

– كم أمقت هذه الزهور.. ألم أقل لجورج أكثر من مرة أننى لا أريدها فى حديقتى..؟

وحينئذ: سمعت صوتا من الجانب الآخر من السور الذى يفصل بين الحديقة والسور يقول:

– معذرة.. هل قلت شيئًا..؟

فأجابت: كلا. أظن أننى كنت أتحدث إلى نفسى.

ونظرت من فوق السور، ورأت امرأة لا تعرفها.

كانت تعرف أهل القرية كلهم تقريبا. أما هذه المرأة المتوسطة القامة القوية البناء. فإنها لم يسبق لها أن رأتها.

قالت:

- إن الناس فى مثل سنى كثيرا ما يتحدثون إلى أنفسهم.

فقالت المرأة:

- إن لديك حديقة جميلة..

- إنها لم تعد كذلك الآن. عندما كنت أشرف عليها شخصيًا.

فقاطعتها المرأة:

- آه. أنا أفهم ما تعنين. أكبر الظن أنك أوكلت أمرها إلى أحد أولئك العجائز الذين يزعمون أنهم يعرفون كل شىء عن فلاحة البساتين بينما هم لا يعرفون إلا القليل. أو لا يعرفون شيئًا على الإطلاق. كل ما يفعلونه أنهم يجتثون قليلا من العشب ويحتسون عددًا لا يحصى من أقداح الشاى. أنا شخصيا شديدة الولع بفلاحة البساتين.

- هل تقيمين هنا..؟

- إننى أقيم فى بيت مسز هاستنجز.. أعتقد أننى سمعتها تتحدث عنك السيده مس ماريل..؟

- نعم.

- أنا أدعى بارتليت. مس بارتليت. وقد أوكلت إلى مسز هاستنجز أمر العناية بحديقتها. ولكنها لا تريدسوى الزهور الموسمية المألوفة. وذلك لا يتطلب براعة. ولا يكلفنى جهدًا كبيرًا. فإذا أردت معونة فإننى على استعداد لأن أبذل لحديقتك ساعة أو ساعتين كل يوم.. وأذكر لك

أننى سأكون أفضل من البستانى الذى لديك الآن.

- الواقع أننى أحب الزهور ولا أهتم بالخضر..

- إننى أزرع خضرًا فى حديقة مسز هاستنجز.. وهو عمل ممل.. أظن أننى يجب أن أذهب الآن.

ونظرت إلى مس ماربل من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.. كأنها تريد أن تطبع صورتها فى ذهنها.. ثم حيتها ومضت فى سبيلها.

وفكرت مس ماربل..

من تكون مسز هاستنجز هذه.؟ إنها لا تذكر هذا الاسم.

لعلها احدى القاطنات فى البيوت الجديدة التى شيدت فى نهاية طريق (جبل طارق).. وانتقلت إليها بعض العائلات فى العام الماضى.



كلمة السر

بعد نحو أسبوع. حمل البريد إلى مس ماربل ثلاث رسائل، فتناولت أحداها ونظرت إليها طويلاً قبل أن تفضها.

أما الرسالتان الأخريان، فكان يبدو أنهما تحتويان على فواتير، أو ايصالات لا أهمية لها.

كانت الرسالة التى أثارت اهتمامها تحمل طابع بريد لندن، وغلافها مستطيل ومن نوع جيد، وقد كتب عليه العنوان بالآلة الكاتبة.

وفضتها مس ماربل بعناية. وقرأت فى أعلاها اسم: (برودريب وشوستر: محاميان ومسجلا عقود).

كانت رسالة مهذبة، مكتوبة بأسلوب رجال القانون، وفيها يطلب إليها المحاميان زيارتهما فى مكتبيهما فى (بلوفر بيرى) بلندن يوم الخميس التالى لبحث موضوع قد يفيدها، وإذا لم يلائمها هذا الموعد، فلتتفضل بتحديد موعد آخر فى وقت قريب.. وأضافا أنهما محاميا مستر رافيل الذى يعتقدان أنها تعرفه.

قرأت مس ماربل الرسالة وقطبت حاجبيها فى دهشة. وراحت تهبط درج السلم ببطء وهى مستغرقة فى التفكير. بينما كانت وصيفتها (شيرى) تتبعها عن كثب لتخف إلى نجدتها فيما إذا تعثرت على السلم العتيق.

قالت لها مس ماربل:

- أراك شديدة الاهتمام بى يا شيرى.

- يجب أن أكون كذلك يا مس ماربل. فإن الناس الطيبين قلائل.

- شكرًا على الإطراء يا شيرى.

- هل ثمة ما يضايقك يا مس ماربل؟ يبدو أنك مشغولة البال.

- لا شىء يا شيرى.. لقد تسلمت للتو رسالة عجيبة من أحد مكاتب المحاماة.

فقالت شيرى التى تعودت أن تعتبر رسائل المحامين نذير شر:

- أرجو ألا يكون هناك من يريد مقاضاتك.

- لا أظن ذلك.. إنهم يطلبون إلى مقابلتهم فى لندن فى الأسبوع القادم.

- لعل بعضهم توفى وأوصى لك بثروته.

- هذا أمر بعيد الاحتمال.

- من يدرى..؟

وتهالكت مس ماربل فى مقعدها المألوف وتناولت حقيبة الحياكة.

هل يمكن حقا أن يكون مستر رافيل قد ترك لها مبلغًا من المال..؟

ولكن مستر رافيل ليس من ذلك الطراز.

ولم يكن فى استطاعتها الذهاب إلى لندن فى الموعد المحدد، إذ كان مقررًا أن تشترك فى اجتماع بمعهد السيدات لمناقشة موضوع جمع التبرعات لإنشاء غرفتين إضافيتين بالمعهد المذكور. فكتبت إلى المحاميين تحدد موعدًا آخر فى الأسبوع التالى.

* * *

نظر مستر برودريب فى ساعته وقال يحدث شريكه مستر شوستر: ترى ما شكلها.؟

فأجاب شوستر:

– إذا كانت ممن يحافظن على المواعيد فيجب أن تكون هنا خلال ربع ساعة.

– أعتقد أنها متقدمة فى السن، والمسنون أحرص على المواعيد من شباب اليوم الطائشين.

– ترى هل هى نحيلة أم بدينة.

فهز برودريب رأسه ولم يجب.

قال شوستر:

– ألم يصفها لك مستر رافيل..؟

– لقد كان شديد الحذر فى كل ما ذكره عنها.

- إن الأمر كله يبدو غاية فى الغرابة.. ليتنا فقط نعلم ما هى حقيقة الموضوع.

ففكر برودريب قليلاً ثم قال:

- بعد كل هذه السنين.. ؟ لا أظن. ولكن ماذا جعلك تفكر فى ذلك؟ هل قال لك..

- لم يقل لى شيئًا. ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما يدور بخلده. لقد أصدر إلى تعليماته فحسب.

- هل تظن أنه أصيب بلوثة فى الأيام الأخيرة..؟

- كلا. بتاتا. إن اعتلال جسده لم يؤثر على قواه العقلية. وقد ربح مائتى ألف جنيه من صفقاته خلال الشهرين الأخيرين من حياته.

- الحق أنه كان موهوبا.

- كانت له عقلية مالية منقطعة النظير.

ودق جرس التليفون فى هذه اللحظة فتناول شوستر السماعة، وسمع صوتًا نسائيا يقول:

- لقد جاءت مس جين ماربل وهى على موعد مع مستر برودريب.

فنظر شوستر إلى شريكه وأومأ هذا برأسه فقال شوستر محدثًا السكرتيرة:

- دعيها تدخل..

ودخلت مس ماربل، ورأت رجلاً متوسط العمر، نحيل الجسم، ينهض لتحيتها. ووقع بصرها على رجل آخر أصغر سنا، وأقوى بنية

يقف بجواره.

قال الأول:

- اسمحى لى بأن أقدم لك شريكى مستر شوستر.

وقال هذا:

- أرجو ألا يكون صعود السلم قد أتعبك.

- إننى ألهث قليلاً كلما ارتقيت سلمًا.

فقال برودريب معتذرًا:

- الواقع أن المبنى عتيق وليس به مصعد، ولكننا نشغل هذا المكتب منذ وقت طويل.

فقالت مس ماربل وهى تجيل البصر حولها:

- إن المكان جميل على كل حال.

وجلست على المقعد الذى قدمه إليها برودريب. بينما تسلل شوستر فى هدوء إلى الخارج.

وبعد حديث تقليدى قصير عن الطقس والصقيع قال برودريب وهو يعبث ببضع أوراق أمامه:

- لا شك أنك سمعت عن وفاة مستر رافيل.. أو لعلك قرأت النبأ فى الصحف..

- لقد قرأت النبأ فى إحدى الصحف.

- كان صديقا لك فيما أعتقد.

– إننى قابلته لأول مرة منذ أكثر من عام.. كان ذلك فى جزر الهند الغربية.

– آه.. أذكر أنه ذهب إلى هناك للاستشفاء. ولكن المرض كان قد برح به.. وكان قعيدًا كما تعلمين.

– نعم.

– هل كنت تعرفينه جيدًا.

– لا أستطيع أن أزعم ذلك. كنا مجرد سائحين مقيمين فى فندق واحد. يتبادلان الحديث أحيانًا. ولكنى لم أره قط بعد عودتى إلى انجلترا. ولعل السبب أننى أقيم فى بقعة ريفية هادئة. وأنه كان منصرفًا كلية إلى عمله.

– الواقع أنه ظل يباشر عمله حتى آخر يوم فى حياته. كان ذا عقلية مالية فذة.

– أنا واثقة من ذلك. ولقد تبينت على الفور أنه شخصية غير عادية.

– هل لديك أية فكرة عن الاقتراح الذى أصدر إلى مستر رافيل تعليماته بأن أعرضه عليك..؟

– ليس فى استطاعتى أن أتصور أى نوع من الاقتراحات يمكن أن يعرضه على مستر رافيل.

– إنه كان يكن لك أعظم تقدير.

– هذا كرم منه: فإننى مخلوقة بسيطة للغاية.

– لا شك أنك تعلمين أنه كان واسع الثراء. وقد كتب وصية قبل وفاته.

– هذا أمر مألوف فى هذه الأيام.

– إننى طلبت مقابلتك لكى أقول لك أن مستر رافيل كلفنى بأن أنهى إليك أنه خصص مبلغا من المال سيكون حقا لك كل عام، بشرط أن تقبلى الاقتراح الذى سأطلعك عليه.

قال ذلك وتناول من فوق مكتبه مظروفًا مستطيلاً مختومًا قدمه إليها.. واستطرد قائلاً:

– لعل من الأفضل أن تقرئى بنفسك ما جاء فى هذا الخطاب.. أقرئيه على مهل. فليس ثمة ما يدعو إلى العجلة.

وفى تمهل، فضت مس ماربل الغلاف وأخرجت منه ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة. وقرأتها بإمعان ثم نظرت إلى برودريب وسألت:

– ألا توجد تفصيلات أخرى من أى نوع..؟

– لا علم لى بشىء.. لقد طلب إلى أن أقدم إليك هذه الرسالة وأن أذكر لك المبلغ الذى أوصى به.. المبلغ هو عشرون ألفا من الجنيهات خالصة من ضرائب التركات.

فنظرت إلى مس ماربل وقد أذهلتها المفاجأة وأفقدتها القدرة على الكلام.

وراح برودريب يرقبها فى صمت..

لم يكن هناك شك فى أن ما سمعته مس ماربل فى التو واللحظة

كان آخر ما توقعت أن تسمعه.

قالت أخيرًا وهى تنظر إليه بحدة:

- إنه مبلغ كبير جدًا.

- ليس بسعر النقد فى هذه الأيام.

- يجب أن أقول لك بصراحة أننى فى أشد حالات الدهشة.

وراحت تقرأ الرسالة مرة أخرى بمزيد من العناية. ثم قالت:

- هل تعرف ما جاء بهذه الرسالة..؟

- نعم.. لقد أملاها على مستر رافيل شخصيًا.

- ألم يذكر لك شيئًا من الإيضاحات..؟

- كلا..

- ولكن يخيل إلى أنك اقترحت عليه أن يذكر مزيدا من التفصيلات؟

فمرت على شفتى برودريب ابتسامة شاحبة وقال:

- هذا ما فعلته.. قلت له أنه يشق عليك أن تفهمى غرضه تماما.

فقلبت مس ماربل شفتها ولم تجب.

قال برودريب:

- لا حاجة بك طبعا إلى الادلاء برأيك الآن..

- يجب أن أفكر فى الأمر.

– إن المبلغ كبير كما ذكرت أنت، ويستحق التفكير.

– لقد تقدمت بى السن، وقد لا يمتد عمرى عاما آخر لكى أربح هذا المبلغ.. ذلك إذا استطعت أن أربحه على الإطلاق.

– إن المال شىء لا ينبغى أن يحتقره الإنسان مهما كانت سنه.

– هذا صحيح. وفى استطاعتى بهذا المبلغ أن أفيد بعض المؤسسات الخيرية التى يهمنى أمرها. ويوجد دائمًا أناس يود الإنسان أن يمد إليهم يد المساعدة. ولكن ايراداته الخاصة لا تسعفه. ولست أزعم فضلا عن ذلك أنه لا توجد بعض متع ومسرات يطيب لى أن أنعم بها، ولم يصدنى عنها سوى ضيق ذات اليد.

– فى استطاعتك مثلاً أن تذهبى فى رحلة إلى الخارج.. وأن تغشى المسارح والحفلات الموسيقية وأن تحشدى فى قبوك أفخر الأنبذة والخمور.

– إننى أكثر تواضعا من ذلك. بحسبى أن أتناول (سمانة) كاملة. وأن أحصل على علبة من (المارون جلاسيه). وحبذا لو امتلكت سيارة أذهب بها إلى دار الأوبرا.

ثم تنهدت وقالت:

– أرى أننى أهيم فى عالم الوهم والخيال.. سآخذ معى هذه الرسالة لأعيد تلاوتها وأفكر فيما جاء بها. ولكن بحق السماء. ماذا حمل مستر رافيل على أن.. أليست لديك فكرة عن الأسباب التى حملت مستر رافيل على أن يعرض على هذا الاقتراح. وماذا جعله يعتقد أننى أستطيع أن أفيد بطريقة ما.؟ كان ينبغى عليه أن يعلم أن

عاما قد انقضى. وإننى ربما قد أصبحت أشد ضعفا وأقل مقدرة على استخدام مواهبى المحدودة مما كنت قبلاً..

من المحقق أن هناك كثيرين أصلح منى للاضطلاع بالمهمة التى أوكلها إلى.

فقال برودريب:

وذلك بصراحة هو رأيى أيضًا.. ولكنه اختارك أنت يا مس ماربل، ومعذرة عن فضولى إذا سألتك هل لك صلة بموضوع الجرائم وتحقيقها..؟

- ليس لى أية صلة رسمية وكل ما أستطيع أن أقوله لك على سبيل الايضاح هو أننى ومستر رافيل قد اشتركنا فى موضوع جريمة قتل محيرة أثناء اقامتنا فى جزر الهند الغربية.

- هل تعنين أنكما استطعتما إماطة اللثام عنها..؟

- الأصح أنه هو بقوة شخصيته.. وأنا بقوة ملاحظتى ومقدرتى على التقصى والاستنتاج قد استطعنا أن نحول دون وقوع جريمة قتل. ولم يكن ممكنا أن أفعل ذلك وحدى لأننى ضعيفة.. ولا أن يفعله هو بمفرده لأنه كان كسيحا.. ولذلك تحالفنا معا ونجحنا.

- سؤال آخر يا مس ماربل. كلمتا (عدالة السماء) هل تعنيان شيئًا بالنسبة إليك.؟

فأجابت وقد أشرق وجهها بابتسامة:

- عدالة السماء..؟ نعم. إنهما تعنيان شيئًا بالنسبة إلى.. وكانتا تعنيان شيئا بالنسبة إلى مستر رافيل. لقد وصفت له نفسى ذات مرة

بأننى أمثل عدالة السماء.

فارتسمت فى عينى برودريب نظرة دهشة. كتلك التى لابد قد ارتسمت فى عينى رافيل وهو طريح الفراش حين سمع هذه العجوز المتهالكة تصف نفسها بأنها تمثل عدالة السماء.

ونهضت مس ماربل وهى تقول:

- إذا عرفت أو تلقيت من المعلومات ما يلقى ضوءًا على الموضوع الذى ذكره مستر رافيل فى رسالته، فأرجو أن تبلغنى إياه يا مستر برودريب.. سوف يدهشنى ألا تتلقى مثل هذه المعلومات و إلا فإننى سأظل فى جهل تام بما يريد مستر رافيل أن أفعله..

- ألا تعرفين أسرته.. وأصدقاءه.. و..

- كلا. قلت لك أننا كنا مجرد زميلين فى رحلة سياحية ببلد أجنبى. ثم نشأ بيننا نوع من التحالف حيال قضية محيرة.

قالت ذلك وسارت إلى الباب. ولكنها توقفت فجأة عندما بلغته وقالت: كانت لمستر رافيل سكريترة خاصة هى مسز أستر والترز. هل ثمة ما يمنعك من أن تقول لى عما إذا كان مستر رافيل قد أوصى لها بمبلغ من المال؟

- إن مضمون الوصية سينشر فى الصحف ولكنى أستطيع أن أقول أنه أوصى لها بخمسين ألفا من الجنيهات.. وبهذه المناسبة أن مسز والترز قد تزوجت وأصبح اسمها الآن مسز اندرسن.

- يسرنى أن أعلم ذلك. أنها كانت أرمل. ولها ابنة واحدة. وكانت تفهم مستر رافيل جيدًا. الحق أنها كانت على جانب عظيم من الكفاءة.

وفى مساء ذلك اليوم، جلست مس ماربل فى مقعدها أمام الموقد، وبسطت الرسالة التى تركها لها مستر رافيل: وراحت تعيد تلاوتها فى صمت تارة، وبصوت مسموع تارة أخرى كأنما لتسجل بعض عباراتها فى ذاكرتها: إلى مس ماربل برقية (سانت مارى ميد)

سوف تصلك هذه الرسالة بعد موتى، عن طريق محامى مستر جيمس بروردیب الذى يتولى المشكلات القانونية فى حياتى وهو رجل أمين جدير بالثقة ولكنه خليق- كأكثر الناس- بأن يصاب بآفة الفضول. ولم أشأ أن أشبع فضوله. فإننى أريد لهذا الموضوع أن يظل سرًا بينى وبينك.

إن كلمة السر بيننا يا سيدتى العزيزة هى (عدالة السماء) ولا أظنك قد نسيت المكان أو الظروف التى ذكرت فيها هذه الكلمة لأول مرة.

لقد اكتشفت خلال حياتى العملية الطويلة الصفة التى يجب أن تتوفر للشخص الذى أود استخدامه.. هذا الشخص يجب أن تكون له حاسة سادسة بالنسبة للعمل الخاص الذى أسنده إليه. والحاسة السادسة ليست المعرفة أو التجارب. وإنما الموهبة الطبيعية لأداء عمل معين.

وأنت يا سيدتى العزيزة لديك حاسة سادسة بالنسبة إلى العدالة، وبالتالى لديك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة. وأنا أريدك على أن تضطلعى بتحقيق جريمة معينة. وقد رصدت مبلغا من المال سيكون من حقك إذ أنت قبلت هذه المهنة ونجحت فى أدائها خلال عام واحد.

أنك لست فى مقتبل العمر، ولكنك قوية البنية. وأعتقد أن بوسعى أن أطمئن إلى أن القدر سيمد فى عمرك عامًا آخر على الأقل.

وأكبر ظنى أن هذه المهمة لن تثير نفورك، فقد وهبتك الطبيعة قدرة عجيبة على تحقيق الجرائم.

أما النفقات التى يتطلبها العمل، فإنها ستصرف لك أولا بأول.

إننى أعرض عليك هذه المهمة كبديل للحياة الهادئة الخاملة التى تحيينها الآن.. فأنا أتخيلك جالسة فى مقعد كبير مما يرتاح مرضى الروماتيزوم إلى الجلوس فيه. ذلك أن جميع الناس فى مثل سنك يعانون من نوع من أنواع الروماتيزم، فإذا كان هذا المرض قد أصاب ظهرك أو ركبتيك فأنت الآن لا تتحركين بسهولة وتقضين جل وقتك فى الحياكة والتطريز.. وأنى أراك الآن بعين الخيال، كما رأيتك ذات ليلة، وبين يديك كرة ضخمة من خيوط الصوف الوردى اللون، تحيكين منها مزيدًا من الجاكتات والشملات وأشياء أخرى لا أعرف أسمها.. فإذا آثرت الاستمرار فى الحياكة فذلك شأنك.وإذا آثرت خدمة العدالة فإننى أرجو أن تجدى فى ذلك شيئًا من المتعة على الأقل.

رافيل



مس ماربل تعمل

قرأت مس ماربل هذه الرسالة ثلاث مرات ثم وضعتها جانبًا وراحت تفكر في مضمونها ومغزاها.

كان أول ما لاحظته على الرسالة خلوها من أية معلومات محددة. فهل سيوافيها برودريب بهذه المعلومات..؟ أنها واثقة من أن ذلك لن يحدث. لأنه لا يتلاءم مع خطة مستر رافيل..

ولكن ماذا كان رافيل يريدها أن تفعل في موضوع لا تعلم عنه شيئًا.؟

لا شك أن الرجل تعمد أن يضعها أمام لغز محير.

وعادت بها الذاكرة إلى الفترة القصيرة التى عرفته فيها.

تذكرت عاهته وعجزه وضيق صدره. وسخريته اللاذعة. ولمحات مرحه العليلة، وخلصت من ذكرياتها عنه إلى أنه كان يجد متعة فى إغاظة الناس.. ألم يكن ما جاء فى رسالته دليلاً على أنه استمتع بإغاظة برودريب حين تعمد ألا يشبع فضوله..؟

ولم يكن فى الرسالة ما يرشدها إلى الجريمة التى يريدها على أن

تضطلع بتحقيقها، من المؤكد أنه تعمد ذلك لغرض فى نفسه.

ولكن كيف تبدأ هى. ومن أين تبدأ .؟

أنها تجد نفسها أمام ما يشبه أن يكن لغزا من ألغاز الكلمات المتقاطعة. ولكن بلا شرح أو ايضاح يرشدها إلى الكلمات المطلوبة.

ينبغى أن يكون هناك ما يرشدها. وأن تعرف على وجه التحديد ما هو مطلوب منها.. وإلى أين يجب أن تتجه.. وهل القضية من النوع الذى يقتضيها أن تقبع فى مقعدها، وتعمل بابرتها لكى تركز تفكيرها وتصل إلى الحل، أم أن رافيل يريدها أن تستقل طائرة أو باخرة تذهب بها إلى جزر الهند الغربية أو أمريكا اللاتينية أو أى مكان آخر معين.؟

إنها أمام أحد أمرين، أما أن تكشف بنفسها المهمة التى يراد منها القيام بها. أو أن تنتظر حتى تتلقى تعليمات واضحة محددة بشأنها.

أم لعل الرجل ظن أنها من البراعة بحيث تستطيع أن تخمن، وتسأل وتهتدى بنفسها إلى الطريق..؟

قالت بصوت مرتفع:

- إذا كان قد ظن ذلك فمن المؤكد أنه أصيب بالجنون قبل أن يموت.

ولكنها كانت واثقة من أنه لم يجن قبل أن يموت.

قالت لنفسها:

- سوف أتلقى تعليمات.. ولكن ماذا ستكون هذه التعليمات..؟ ومتى سأتلقاها.

وأدركت فجأة. أنها تفكر وكأنها قد قبلت المهمة بصفة نهائية،

فقالت مرة أخرى بصوت مرتفع وهى تنظر إلى الفضاء.

– إننى أؤمن بخلود الروح. وأنا لا أعلم أين أنت الآن يا مستر رافيل، ولكنى واثقة من أنك فى مكان ما، وسوف أبذل قصارى جهدى لتحقيق رغباتك.

بعد ثلاثة أيام، كتبت مس ماربل إلى مستر برودريب الرسالة المقتضبة التالية:

عزيزى مستر بورودريب

لقد فكرت فى الأمر وقررت قبول اقتراح مستر رافيل، وسأبذل قصارى جهدى لتحقيق رغباته، رغم أننى لست واثقة من النجاح.

والواقع، كيف يمكن أن أنجح وأنا لا أجد فى رسالته أية تعليمات؟

فإذا كانت لديك رسائل أخرى تتضمن معلومات أو ايضاحات فإننى أكون سعيدة إذا بعثت بها إلى.

إننى أفترض أن مستر رافيل كان يتمتع بكامل قواه العقلية قبل أن يموت.

وأعتقد أن من حقى أن أسأل: هل كانت فى حياة مستر رافيل العملية أو الخاصة قضية جنائية تثير اهتمامه؟ وهل عبر لك مرة عن غضبه أو استيائه من سوء تطبيق العدالة فى قضية ما..؟ وهل تعرض أحد أقاربه أو معارفه للمتاعب أو كان ضحية لمعاملة ظالمة؟

أنا واثقة من أنك ستدرك الأسباب التى تحملنى على القاء هذه الأسئلة. إن مستر رافيل نفسه ربما قد توقع أن ألقيها».

عـرض برودريب هذه الرسـالة على شـريكه مسـتـر شوسـتـر الذى اعتدل فى مقعده وقال:

- لقد قبلت المهمة.. أليس كذلك..؟ يا لها من عجوز جريئة. أعتقد أنها تعرف شيئًا عن الموضوع.

- لا أظن ذلك.

- ليتنا كنا نعرف. حقا لقد كان رجلا غريب الأطوار.

- وصعب المراس.

- ليست لدى أية فكرة عن الجـريمـة التى ذكرهـا فى رسـالتـه، فهل لديك أنت؟

- كلا. وأظن أنه تعمد ألا يدعنى أعرف شيئا عنها.

- أنه بذلك قـد زاد الأمـر صـعـوبة وتعـقـيـدًا. ولا أظن أن فى استطاعـة هذه العجـوز الريفيـة أن تقـرأ مـا يدور بخلد رجل مـيت. ألا يمكن أن يكون الأمـر كله مـجـرد دعـابة.؟ وأنه ربمـا علم أنهـا تتـيـه ببراعتها فى حل المشكلات الريفية فأراد أن يسخر منها.؟

- لا أعتقد ذلك. فإن رافيل لم يكن من هذا الطراز.

- إنه كان شيطانا مريدًا فى بعض الأحيان.

- هذا صحيح. ولكنى أظن أنه كان جادا فى هذا الموضوع. كان ثمة شىء يهمه ويضايقه.

- ألم يفصح لك عنه.؟

- كلا.

– إذن فالموضوع مجرد دعابة.

– إن عشرين ألفًا من الجنيهات مبلغ لا يستهان به.

– نعم... ولكن هب أنه كان يعلم أن العجوز لن تظفر به.؟

– إنه لم يكن تافهـا إلى هذا الحـد. لابد أنه كـان يعلم أن لديهـا فرصة للظفر بهذا المبلغ.

– وماذا علينا أن نفعل.؟

– لا شيء سوى أن ننتظر لنرى ما يكون.. لابد أن يحدث تطور ما.

– هل لديك تعليمات أخرى مختومة؟

– يا عزيزى شوستر. لقد كان مستر رافيل يثق فى إخلاصى لعملى واحترامى لأدب مهنتى كمحام. أن التعليمات المختومة التى تتحدث عنها لن تفض إلا فى ظروف معينة. وهذه الظروف لم تطرأ بعد.

– ولن تطرأ.

وانتهى الحوار عند هذا الحد.

* * *

كان برودريب وشوستر أسعد حظا من مس ماربل. فقد كانت لهما مهنة تستغرق كل وقتهما.. أما هى فلم يكن لديها ما تفعله. سوى أن تعمل بإبرتها وتفكر أو تخرج للنزهة أحيانًا فتثير احتجاج وصيفتها شيرى التى لا تلبث أن تصيح:

– أنت تعرفين أوامر الطبيب. لقد حظر عليك ممارسة أى نوع من ألوان الرياضة..

- أنا لا أمارس أية رياضة. أنا أسير ببطء وأفكر فى بعض الأمور.

- أية أمور؟

- ليتنى أعلم.

ثم استطردت بعد صمت قصير:

- هل تعرفين سيدة تقيم فى بيت جديد قريب من هنا تدعى مسز هاستنجز.؟

وسيدة أخرى تقيم معها تدعى مس بارتليت.؟

- هل تعنين ذلك البيت الذى أعيد طلاؤه والذى يقع فى طرف القرية.؟ إن سكانه جاءوا منذ فترة وجيزة.. وأنا أجهل أسماءهم. فماذا تريدين معرفته عنهم.؟

- هل ثمة صلة قرابة بين هاتين السيدتين؟

- كلا. أعتقد أنهما مجرد صديقتين.

- ترى لماذا.

ولم تتم عبارتها فهتفت شيرى:

- عم تتساءلين.؟

- لا شىء. أريد قلمًا وورقا لأكتب رسالة.

فسألت شيرى بما طبعت عليه من فضول:

- لمن.؟

- لشقيقة قس يدعى بريسكوت.

- ذلك القس الذى قلت أنك قابلته خلال رحلتك إلى جزر الهند الغربية؟

- نعم.

- وماذا يحملك على الكتابة إلى أحد القسس.؟ هل أنت بخير.

فصاحت مس ماريل: إننى بخير. وفى أحسن صحة. وأريد أن أبدأ عملى. وربما استطعت مس بريسكوت مساعدتى.

وكتبت الرسالة التالية: عزيزتى مس بريسكوت.

لعلك مازلت تذكرينى. فإننى قابلتك أنت وأخاك فى جزيرة سان أونوريه.

- فإن القس العزيز قد عانى كثيرًا من ضيق التنفس بسبب برودة الجو فى الشتاء الماضى.

إننى أكتب إليك الآن للاستفسار عن عنوان والترز- استر والترز- السكرتيرة الخاصة لمستر رافيل.

أنها ذكرت لى عنوانها ومن سوء الحظ أننى نسيته وبودى أن أبلغها بعض معلومات خاصة بزراعة الزهور كانت قد طلبتها منى..

لقد علمت، بطريق غير مباشر- أنها تزوجت للمرة الثانية. ولكن الشخص الذى أنبأنى بذلك لم يكن واثقا من صحة هذا النبأ. ولعل عندك أنت الخبر اليقين.

تحياتى لأخيك القس، وأطيب تمنياتى لك.

جين ماريل

* * *

وشعرت مس ماربل بكثير من الارتياح بعد أن أرسلت هذا الخطاب وقالت لنفسها: هذه مجرد محاولة قد تثمر وقد لا تثمر. ولكنها بداية عمل على كل حال.

وجاء رد مس بريسكوت بعودة البريد، متضمنا العنوان المطلوب وقرأت فيه مس ماربل ما يلى:

«أنا أيضًا سمعت عن زواج استر والترز بطريق غير مباشر. قالت لى احدى صديقاتى أنها قرأت النبأ. وأن اسمها بعد الزواج قد أصبح (مسز اندرسون). وهى تقيم فى (ونسلو لودج) بالقرب من مدينة (ألتون).

طلب إلى أخى أن أبلغك تحياته.

مما يؤسف له حقا أن المسألة بيننا طويلة فنحن نقيم فى شمال انجلترا بينما تقيمين أنت فى جنوب لندن.

ولكنى أرجو أن نلتقى فى مناسبة ما فى المستقبل القريب.

جوان بريسكوت

* * *

غمغمت مس ماربل وهى تسجل العنوان:

– (ونسلو لودج). أنها ليست بعيدة عن هنا. وأستطيع الوصول إليها بإحدى سيارات الأجرة. وإذا نجحت الرحلة، أمكن تسجيل نفقاتها على حساب مستر رافيل.

والآن.. هل أكتب لاستر والترز قبل زيارتها. أم أترك الأمر للظروف؟ لعل الأفضل أن أتركه للظروف مسكينة. من المؤكد أنها لا تشعر نحوى بأى حب أو عطف.

وعادت بها الذاكرة إلى مغامرتها فى جزيرة (سان أونوريه). من المؤكد أنها أنقذت حياة أستر والترز فى هذه المغامرة. ذلك هو رأيها هى على الأقل ولكن ربما كان لاستر والترز رأى آخر.

قالت بصوت خافت:

– إنها امرأة لطيفة. بل لطيفة جدًا. وقد كادت المسكينة أن تتزوج قاتلاً. ولذلك أعتقد أننى أنقذت حياتها حين أفسدت هذا الزواج. ولكنى لا أظنها توافقنى على هذا الرأى. بل لعلها تمقتنى بسببه. ولهذا قد لا أستطيع الحصول منها على المعلومات التى أنشدها. ولكننى سأحاول. فالمحاولة مهما كانت نتيجتها أفضل من الانتظار.

* * *

وفى صباح اليوم التالى، طلبت مس ماربل إلى وصيفتها أن تأتيها بإحدى سيارات الأجرة. وسألتها شيرى:

– هل ستذهبين إلى لندن..؟

– كلا. ولكنى سأتناول الغذاء فى (هازملير).

فقالت شيرى وهى تنظر إليها فى ارتياب:

– ترى ماذا تدبرين.

– أدبر لقاء مع شخص بطريق المصادفة.

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة، جاءت السيارة فقالت مس ماربل لوصيفتها: اتصلى تليفونيا بهذا الرقم يا شيرى، وأسألى عن مسز اندرسون، وقولى أن مستر برودريب يريد التحدث إليها. وأنك سكرتيرته. فإذا قيل لك أنها خرجت. فاسألى متى ستعود.

- وإذا تحدثت إلى بنفسها؟

- اطلبى إليها أن تحدد موعدا فى الأسبوع القادم لمقابلة مستر برودريب فى مكتبه بلندن.

- ولماذا لا تتحدثين إليها بنفسك؟

- إن الذاكرة لغز عجيب، فقد يحدث أن يذكر الإنسان صوتا حتى ولو لم يكن قد سمعه منذ أكثر من عام.

- ألا يمكن أن تعرف هذه السيدة صوتى.؟

- كلا. لأنها لا تعرفك ولم يسبق أن سمعت صوتك. ولهذا طلبت إليك أن تتحدثى إليها.

وفعلت شيرى ما أمرت به. وقيل لها أن مسز اندرسون خرجت لتتسوق وأنها ستعود ظهرًا ولن تغادر البيت بقية النهار.

فقالت مس ماربل: هذا حسن.. ذلك ييسر الأمور.



استر والترز

غادرت استر أندرسون مبنى السوق. وقصدت إلى حيث تركت سيارتها.

وهى تقول لنفسها أن ايجاد مكان لوقوف السيارة يزداد صعوبة يوما بعد يوم.

واصطدمت فى طريقها بعجوز تعرج قليلاً، فاعتذرت لها. وهتفت العجوز فى دهشة:

- عجبًا. ألست مسز والترز.؟ استر والترز؟ لا شك أنك لا تذكريننى. أنا جين ماربل. وقد تقابلنا فى فندق بجزيرة سان أونوريه. منذ أكثر من عام.

- مس ماربل.؟ آه. حقا. من كان يظن أننى سألقاك هنا.

- كم أنا سعيدة بلقائك. أننى مدعوة لتناول الغذاء عند بعض الأصدقاء بالقرب من هنا. هل ترى ستكونين فى بيتك بعد ظهر اليوم؟ سوف يسرنى أن نتجاذب أطراف الحديث معا. آه. ما أجمل أن يلقى الإنسان صديقا قديما.

- طبعا. طبعا. ستجديننى فى انتظارك فى أى وقت بعد الثالثة.

اتفقنا على ذلك. ومضت استر أندرسون فى طريقها وهى تقول لنفسها:

– جين مابرل.. ظننت ماتت منذ وقت طويل.

وفى منتصف الساعة الرابعة تماما، دقت مس ماربل جرس الباب ففتحته استر بنفسها. ورافقتها إلى الداخل.

وجلست مس ماربل على المقعد الذى قدمته إليها مضيفتها وهى تقول:

– ما أعجب هذه الدنيا. يتمنى الإنسان أن يلقى شخصا بعينه وتحدثه نفسه بأنه يلقاه حتما.. وتمضى الأيام. وإذا به يلقاه فجأة حيث لم يكن يتوقع.

– ويكون أول انطباع له أننا نعيش فى عالم صغير. أليس كذلك.

– نعم.. إن جزر الهند الغربية تبدو بعيدة جدًا عن انجلترا. ومع ذلك فقد كان يمكن أن ألقاك فجأة فى لندن. أو فى أحد المتاجر.

– الواقع.. أننى لم أكن أتوقع أن ألقاك هنا.. فى هذه المدينة البعيدة عن مسكنك.

– كلا.. كلا.. إننى أقيم فى قرية (سانت مارى ميد) وهى ليست بعيدة عن هنا. والمسافة لا تتجاوز خمسة وعشرين ميلا. ولو كنت أعلم أنك تقيمين هنا لحاولت الاتصال بك.

– لقد انتقلت إلى هنا منذ وقت قصير. بعد الزواج مباشرة.

– لم يصل إلى علمى أنك تزوجت رغم حرصى على متابعة أنباء الزواج فى الصحف.

– إننى تزوجت منذ أربعة أو خمسة شهور. واسمى الآن مسز اندرسون.

– مسز اندرسون. سأحاول أن أذكر هذا الاسم. ومن يكون زوجك؟

كان يبدو من غير الطبيعى ألا تسأل عن الزوج خاصة وأن العجائز معروفات بالفضول.

وأجابت استر:

– إنه مهندس.

ثم استطردت بعد تردد:

– وهو أصغر سنًا منى.

– ذلك أفضل يا عزيزتى.. فالرجال فى هذا الزمن تدركهم الشيخوخة قبل الأوان، وأسرع من النساء، ربما بسبب الهموم والاسراف فى العمل. مما يصيبهم بارتفاع ضغط الدم أو انخفاضه، وبأمراض القلب وقرحة المعدة. أما نحن فإننى أظن أننا أصلب منهم وأكثر احتمالاً.

– ربما.

وابتسمت، فاطمأنت مس ماربل.

كانت أستر فى آخر لقاء بينهما ترمقها بنظرات تنم عن الحقد والكراهية. وربما كانت فى ذلك الوقت تكرهها فعلا. أما الآن. فإنها خليقة بأن تنظر إليها بشىء من الامتنان. فإنه لولاها لكانت نزيلة أحد القبور بدلاً من هذه الحياة السعيدة التى تحياها مع مستر اندرسون.

قالت مس ماربل:

- إنك تبدين فى صحة جيدة.

- وأنت كذلك يا مس ماريل.

- إننى تقدمت فى السن. والشيخوخة تحل معها الآلام والأوجاع. ولست أعنى أننى أعانى مرضا خطيرًا. ولكن هناك الروماتيزوم وآلام المفاصل والظهر والكتفين. ولكن ما لنا وهذا الحديث.. إن بيتك جميل يا عزيزتى.

وأجالت البصر حولها.

كان كل ما حولها ينم عن الثراء وسعة العيش. ولابد أن تكون استر قد ابتاعت هذا الأثاث الثمين اعتمادًا على الثروة التى هبطت عليها من السماء بعد وفاة مستر رافيل.

ويبدو أن استر أدركت ما يدور بخلدها لأنها قالت على الفور.

- لا شك أنك قرأت نبأ وفاة مستر رافيل.

- نعم.. نعم.. كذلك منذ نحو شهر. أليس كذلك؟ ولشد ما حزنت على وفاته. رغم أن الجميع كانوا يتوقعونها. هو نفسه كان يتوقعها وقد قال أكثر من مرة أنه لن يعيش طويلاً. كان رجلا شجاعًا.. ألا تعتقدين ذلك.؟

- نعم. كان شجاعًا جدا، وكريما جدا. وقد قال لى فى بداية عملى معه بأنه سيمنحنى مرتبا كبيرا، وأنه يحسن بى أن أدخر بعض هذا المرتب وألا أنتظر منه أية منحة أخرى.

ولم أنتظر منه أية منحة أخرى، فقد كان دائما يعنى ما يقول. ولكن يبدو أنه غير رأيه.

– يسرنى أنه فعل ذلك.

– لقد أوصى لى بمبلغ ضخم. وكان الأمر مفاجأة لى فلم أصدقه فى البداية.

– أعتقد أنه أراده على أن يكون مفاجأة لك. ولكن هل أوصى بشىء لذلك الرجل الذى كان يعمل فى خدمته.

– تعنين جاكسون.؟ كلا. إنه لم يترك له شيئًا. ولكنى أعتقد أنه منحه مبلغًا من المال فى السنة الأخيرة.

– هل رأيت جاكسون بعد أن..

– كلا. أننى لم أره بعد رحلتنا إلى تلك الجزيرة، لأنه ترك خدمة مستر رافيل عقب عودته إلى انجلترا، وأعتقد أنه التحق بالعمل مع أحد اللوردات فى (جيرسى) أو (جيرنسى).

– كم كنت أود أن أرى مستر رافيل مرة أخرى. لقد بدا لى عجيبًا بعد عودتى إلى انجلترا.. وبعد زمالتى لمستر رافيل فى تلك الأحداث التى مرت بنا فى الجزيرة أننى لا أكاد أعرف عنه شيئا.. وعندما قرأت نبأ وفاته وددت لو أننى استطعت أن أعرف المزيد عنه. أين ولد. وأين أسرته. وهل له أقارب أو أولاد.

فابتسمت استر ونظرت إلى مس ماربل كمن يريدأن يقول: نعم. أنا واثقة من أنك تريدين أن تعرفى كل شىء عن كل إنسان تقابلينه.

ثم قالت بصوت مرتفع:

– الواقع أنه كان هناك أمر واحد لا يعرفه الجميع عنه.

– هو أنه كان واسع الثراء. أليس كذلك؟ عندما يعلم الإنسان عن

شخص أنه غنى جدا، فإنه لا يسأل عن شيء آخر.

فضحكت استر، وقالت مس ماربل:

– أظن أنه لم يتزوج.. لأنه لم يتحدث قط عن زوجته.

– أنه فقد زوجته منذ وقت طويل. وأعتقد أنها كانت أصغر منه سنا وأنها ماتت بالسرطان.

– هل رزق بأولاد.؟

– نعم. ابنتان وولد. وقد تزوجت إحدى الابنتين وهى تقيم الآن فى أمريكا. أما الثانية فإنها توفيت وهى صغيرة. وقد قابلت الابنة الأمريكية مرة.. ووجدت أنها تختلف عن أبيها. فهى تبدو هادئة حزينة، أما الابن فإن مستر رافيل لم يتحدث عنه قط وأظن أنه وقع فى ورطة ما، أو أثار فضيحة، أو شيئا من هذا القبيل، وأعتقد أنه مات منذ بضعة أعوام.. ومهما يكن الأمر فإن أباه لم يتحدث عنه قط.

– هذا أمر يبعث على الأسف حقا.

– أظن أن ذلك حدث منذ سنوات عديدة.. وأن الابن ذهب فى رحلة أو سافر إلى الخارج.ولم يعد.

– وهل أثار ذلك قلق مستر رافيل أو حزنه..؟

– لم يكن فى استطاعة أحد أن يعرف ما يدور بخلده أو ما يعتمل فى نفسه. كان من ذلك الطراز الذى يعرف كيف يلقى خسائره وهمومه وراء ظهره. فإذا وجد مثلاً أن ابنه أصبح نقمة لا نعمة. هز كتفيه وأسقطه تمامًا من حسابه. قد يفعل ما يقتضيه الواجب، كأن يرسل إليه بعض النقود، على سبيل المساعدة، ولكنه لا يفكر فى أمره بعد

ذلك.

- ألم يذكره قط فى أحاديثه؟

- لا شك أنك تذكرين عنه أنه لم يكن الرجل الذى يفصح عن شعوره، أو يتحدث عن حياته الخاصة.

- نعم.. نعم. ولكنى ظننت أنه ربما أسر إليك بمتاعبه بصفتك سكرتيرته الخاصة طوال عدة أعوام.

- لو كانت لديه متاعب، وذلك ما أرتاب فيه، فإنه لم يكن الرجل الذى يفضى بمتاعبه لكائن من كان.

لم يكن يهمه سوى عمله.. فعمله هو ابنه وابنته وأسرته جميعًا.. ولم تكن له متعة الحياة سوى جمع المال وعقد الصفقات.

- هل افهم من ذلك أنه لم تصادفه أيه متاعب قبل موته؟

- لا أعتقد أنه كانت هناك أية متاعب.. ثم أننى تخليت عن عملى معه قبل النهاية.

- لا شك أنه تضايق كثيرًا لفقدك.

- لا أظن ذلك. لم تكن هذه الأمور لتضايق رجلاً مثله. إنه يبحث فورا عن سكرتيرة أخرى. فإذا لم تلائمه، نفحها قبضة من المال وبحث عن أخرى. إلى أن يجد ضالته. كان متزن العقل دائمًا.

- نعم.. نعم.. ولكنه كان يفقد أعصابه بسهولة.

- كان يجد متعة فى ذلك.

- هل كان له اهتمام خاص بعلم الجريمة..؟ أعنى بدراسة الجريمة

وحوافزها.

فقالت استر بحدة:

- هل تقولين ذلك بسبب ما حدث فى تلك الجزيرة؟

- كلا. أنما أعنى أنه ربما عجب للعوامل النفسية التى تدفع إلى الجريمة. أو كان له اهتمام خاص بالقضايا التى ضل فيها القضاء طريق العدالة أو..

فقاطعتها استر قائلة: ولماذا يهتم بهذه الأمور.؟ ثم أرجوك ألا تعودى إلى ذكر تلك الأحداث المزعجة التى وقعت فى سان أونوريه.

- أنا آسفة.. كل ما فى الأمر أننى تذكرت بعض عبارات قالها مستر رافيل فظننت أن له نظرية خاصة عن أسباب الجريمة.

- لقد كانت كل اهتمامات مستر رافيل تتركز فى المسائل المالية فحسب.

وكانت لا تزال تنظر ببرود إلى مس ماربل فقالت هذه معتذرة:

- يؤسفنى أننى أثرت ذكريات قديمة مؤلمة.

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

- أظن أننى يجب أن أنصرف الآن لكى ألحق بالقطار.

وحملت حقيبتها ومظلتها وتهيأت للانصراف، فألحت عليها استر فى البقاء لتتناول معها قدحًا من الشاى. ولكنها أجابت:

- شكرًا لك أيتها العزيزة. إن وقتى لا يسمح أرجو أن تتقبلى تهنئتى وأخلص تمنياتى لك بحياة زوجية سعيدة.. أظن أنك لا تفكرين

فى الالتحاق بعمل جديد؟

- الواقع أن بعض الناس يضيقون بالبطالة، ولكنى لست منهم. أننى أريد الاستمتاع بالثروة التى تركها لى مستر رافيل.

- وكنت أظن أن لها صلة بالموضوع الذى أثاره مستر رافيل، أو أنها تعرف شيئًا عنه. ولكن يبدو أننى كنت مخطئة.

والآن.. ماذا ستكون خطوتى التالية؟

* * *

ووجدت لزاما عليها أن تفكر فى موقفها مليا.

لقد عرضت عليها مهمة لا تعرف عنها شيئًا.. وتركت لها حرية قبولها أو رفضها. فهل يجب أن تبحث بنفسها عن ماهية هذه المهمة أو تنتظر حتى تتلقى من التعليمات ما يرشدها إليها؟

ثم لماذا اختارها مستر رافيل دون غيرها لهذه المهمة؟

هل لأن لها مواهب خاصة تتميز بها فى ناحية ما..؟

وراحت تقيم نفسها فى كثير من التواضع.

كانت كل مميزاتها تتلخص فى أنها شديدة الفضول، كثيرة الأسئلة.. فهل اختارها لذلك.؟

* * *

وأتعبها التفكير، فهزت كتفيها وقالت بصوت مرتفع:

- الحق أنك رجل متعب يا مستر رافيل. لقد فعلت كل ما أستطيع فى حدود قدراتى.. ويجب الآن أن أترك الأمر لك.

تعليمات من العالم الآخر

بعد ثلاثة أيام تسلمت مس ماريل رسالة، ففحصتها ونظرت إلى الخط الذى كتب به الغلاف، وإلى طابع البريد.

وأيقنت أنها لا تتضمن فاتورة من الفواتير المألوفة، وفضتها ووجدت الخطاب التالى مكتوبًا بالآلة الكاتبة:

عزيزتى مس ماريل

عندما تتسلمين هذه الرسالة أكون قد مت ودفنت، ولا أقول أحرقت ووضع رمادى فى قنينة، فإننى لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن للإنسان أن يخرج من قنينة صغيرة بالرماد لكى يتردد على من يريد التردد عليهم. بينما فكرة الخروج من القبر ممكنة تماما. هل سأرغب فى الخروج..؟ ربما.. بل وربما أرغب كذلك فى الاتصال بك.

والآن.. لابد أن يكون محاميَّ قد اتصل بك وعرض عليك اقتراحًا معينا أرجو أن تكونى قد قبلتيه. أما إذا كنت قد رفضتيه فذلك شأنك ولن أشعر بالندم أو الأسف.

وإذا قام محامى وادارة البريد بما ينتظر منهما فإن هذه الرسالة

يجب أن تصلك فى اليوم الحادى عشر من الشهر، وبعد يومين ستصلك، رسالة من أحد مكاتب السياحة فى لندن، متضمنة عرضا أرجو أن يصيب هوى فى نفسك.

لن أقول أكثر من ذلك، ولكنى أريدك أن تواجهى الأمور بعقل مفتوح. وأن تحرصى على نفسك.

أرجو لك حظًا سعيدًا، كما أرجو أن يلازمك ملاكك الحارس، لأنك ستكونين بحاجة إليه..

المخلص

ج. رافيل

وقضت مس ماربل يومين وهى على أحر من الجمر، إلى أن جاءتها الرسالة التالية من جميعة «القصور والحدائق المشهورة فى انجلترا»:

عزيزتى مس ماربل

تنفيذًا لتعليمات المرحوم مستر رافيل، نرسل إليك رفق هذا تفصيلات الرحلة السابعة والثلاثين لجمعية «القصور والحدائق المشهورة فى انجلترا» التى تبدأ من لندن يوم الخميس الموافق ١٧ الجارى.

فإذا أمكنك الحضور إلى مكتبنا فى لندن، فإن مسز ساندبورن سكرتيرة الجمعية التى ستشرف على الرحلة سوف يسرها أن توضح لك التفصيلات وتجيب على كل ما يعن لك من أسئلة.

ستستغرق الرحلة بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، ويعتقد مستر رافيل أنك سترحبين بها لأنها سوف تشمل منطقة من انجلترا يظن رافيل

أنك لم تزوريها من قبل، وقد طلب أن نهيىء لك فى هذه الرحلة أقصى ما نستطيع من أسباب المتعة والراحة.

فهلا تفضلت بأخطارنا عن الموعد الذى يلائمك لزيارة مكتبنا بشارع (بركلى)؟

وطوت مس ماربل الرسالة ووضعتها فى حقيبتها، ثم أجرت بعض اتصالات تليفونية بصديقات لها تعتقد أنهن اشتركن فى رحلات سابقة للجمعية، ولما لم تسمع منهن سوى الثناء على هذه الرحلات، ودقة تنظيمها، اتصلت بمكتب الجمعية تليفونيًا وقالت للسكرتيرة أنها ستزور المكتب يوم الثلاثاء.

وفى اليوم التالى تحدثت مس ماربل إلى وصيفتها فى الموضوع.

قالت:

– أننى سأذهب فى رحلة يا شيرى.

فهتفت شيرى:

– رحلة..؟ هل تعنين رحلة إلى الخارج..؟

– كلا. إنها رحلة داخلية لزيارة القصور التاريخية والحدائق المشهورة.

– هل تظنين أن ذلك يلائم سنك؟ هذه الرحلات قد تكون متعبة وشاقة. إذ يتعين عليك فى بعض الأحيان أن تسيرى مسافات طويلة.

– إن صحتى جيدة. ثم إننى علمت أنهم جعلوا لكبار السن فرصة للراحة.

– كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن تعتنى بنفسك فلسنا نريدك

أن تصابى بأزمة قلبية. أو أن تسقطى فى حوض احدى النافورات.

- اطمئنى يا شيرى، فسوف أعتنى بنفسى.

وأعدت مس ماربل حقيبتها، وذهبت إلى لندن، حيث حجزت غرفة فى فندق متواضع، ثم قصدت إلى مكتب الجمعية- فى الموعد المحدد، وهناك استقبلتها سيدة لطيفة فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها. قالت أن اسمها مسز ساندبورن وأنها التى ستشرف على الرحلة.

فقالت مس ماربل:

- هل أفهم أن رحلتى..

وترددت، وأحست مسز ساندبورن بحرجها فقالت:

- آه.. كان يجب أن أوضح ذلك فى رسالتنا إليك نعم.. لقد دفع مستر رافيل كافة نفقات رحلتك.

- هل تعلمين أنه توفى؟

- نعم. ولكنه دبر أمر الرحلة قبل وفاته. قال أنه مريض ولكنه أراد أن يهيىء هذه الرحلة لصديقة عزيزة لم تتح لها فرصة للاستمتاع بمثل هذه الرحلات.

* * *

بعد يومين، حملت مس ماربل حقيبتها واحتلت مكانها فى الحافلة الفخمة التى ما لبثت أن شقت طريقها إلى خارج لندن.

وراحت مس ماربل تتصفح الكتيب الذى وزع على أعضاء الرحلة

ويتضمن أسماء المسافرين والبرامج اليومية والبيانات الخاصة بالفنادق والأطعمة. والقصور والحدائق التى تشملها الرحلة، والأماكن البديلة التى تستطيع ارتيادها أو التماس الراحة فيها أولئك الذين يتخلفون عن احدى الزيارات بسبب التعب أو الضعف أو الذين يؤثرون الجلوس على السير الشاق وارتقاء التلال.

صفوة القول أن الرحلة نظمت بدقة ولباقة على نحو يلائم الجميع.

وقرأت مس ماربل أسماء الركاب وراحت تتأملهم، ولاحظت أنهم بدورهم يتأملون بعضهم بعضًا. ولكن ليس بينهم من يعيرها اهتماما خاصًا.

قرأت فى قائمة الأسماء:

مسز بورتر

مس جوانا كروفورد

الكولونيل ووكر وزوجته

مستر بتلر وزوجته

مس اليزابيث تمبل

الأستاذ وانستيد

مستر ريتشارد جيمسون

مس لوملى

مس بنتهام

مستر كاسبار

مس كوك

مس باروا

مس جين ماربل

كان بين الركاب أربع سيدات عجائز، منهن اثنتان تسافران معا وكلتاهما فى نحو السبعين من عمرها من النوع الذى لا يكف عن التبرم والشكوى، فإذا أجلست فى مقدمة السيارة طالبت بالجلوس فى المؤخــــرة.. وإذا أجلست فى مكان ظليل طلبت الجلوس فى مكان مشمس.

كان مجموع عدد الركاب فيما عداها هى ومسز ساندبورن خمسة عشر راكبا.. ولما كانت قد أرسلت فى هذه الرحلة بالذات فلابد أن يكون لواحد على الأقل من هؤلاء الركاب أهمية خاصة. أما كمصدر للمعلومات أو لصلة بالقانون أو بإحدى القضايا. أو لأنه مجرم ارتكب فعلا جريمة قتل أو يتأهب لارتكاب جريمة قتل.

كل شىء ممكن مع مستر رافيل.

ومهما يكن من أمر فإنها يجب أن تسجل ملاحظاتها على هؤلاء الناس، فقد يكون بينهم من يستحق الاهتمام من وجهة نظر مستر رافيل أو من لديه معلومات تفيدها أو تفيد مستر رافيل أو تفيد العدالة. سواء كان يعلم ذلك أو يجهله.

ونظرت مس ماربل إلى العجوزين الأخريين. كانتا فى نحو الستين. واحداهما أنيقة تبدو من شخصيات المجتمع. وتتكلم بصوت مرتفع وبلهجة الأمر، وترافقها فتاة فى نحو الثامنة عشرة من عمرها تدعوها العمة جيرالدين.

ورأت مس ماربل فى المقعد الذى إلى يمينها رجلا ضخم الجسم، عريض الكتفين بارز الفكين. كث الحاجبين. يجلس بجوار رجل كثير الحركة، جم النشاط، يتكلم الانجليزية بلكنة أجنبية، ويبدى ملاحظاته أحيانًا بالفرنسية والألمانية.

ونظرت مس ماربل إلى الرجلين مليا وقررت أن أولهما لابد أن يكون الاستاذ وانستيد، وأن الثانى هو مستر كاسبار.

وتساءلت ترى فى أى موضوع يتحدثان بهذه الحماسة. وأمام هذين الرجلين كانت تجلس سيدة تناهز الستين أو لعلها تجاوزتها.. ولكنها تحتفظ بمسحة من جمال رصين. وتتميز بجبين مرتفع وصوت هادئ واضح النبرات.

قالت مس ماربل لنفسها: لا شك أنها شخصية لها مركزها. إنها تذكرنى بعميدة أحدى كليات (اكسفورد).

ومضت مس ماربل فى تقييم الركاب.

كان هناك رجل أمريكى دمث الخلق ومعه زوجته الثرثارة، ورجل انجليزى فى نحو الخمسين يبدو أنه ضابط متقاعد، فلم تتردد مس ماربل فى أن تختار لهما من بين الأسماء الواردة فى القائمة اسم الكولونيل ووكر وزوجته.

وفى المقعد الذى وراءها كان يجلس رجل طويل نحيف يناهز الثلاثين، تدل ألفاظه الفنية على أنه مهندس.

وفى المقاعد الأمامية، كانت تجلس امرأتان متوسطتا العمر تسافران معا، إحداهما سمراء نحيفة، والثانية شقراء مليئة الجسم، خيل لمس ماربل أنها رأتها من قبل ولكنها لم تعرف متى و أين. ربما فى

حفلة كوكتيل أو فى أحد القطارات.

بقى بعد ذلك مسافر واحد يجب عليها تقييمه.

كان شابا فى التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، يرتدى الزى المناسب لأمثاله. ويطلق شعره على سجيته. وقد لاحظت مس ماربل أنه يبدى اهتماما بالفتاة التى ترافق العمة جيرالدين، وأن الفتاة تبادله هذا الاهتمام.

وتناول المسافرون طعام الغذاء فى فندق جميل يطل على النهر، وقضوا الساعات التالية فى زيارة معالم مدينة (بلنهايم). وعندما وصلوا إلى الفندق الذى سيقضون فيه ليلتهم، كان كل منهم قد عرف الآخر، وتوثقت بين الجميع أواصر الألفة.

وقد لعبت مسز ساندبورن دورا هاما فى هذا السبيل.

كانت نشيطة إلى أبعد حدود النشاط لبقة فى تقريب المسافرين بعضهم إلى بعض، فإذارأت أحدهم يجلس وحيدا قالت له بصوتها الرقيق: لماذا لا تدع الكولونيل يصف لك حديقته؟ إن لديه مجموعة من الزهور لا مثيل لها.

واستطاعت مس ماربل خلال ذلك أن تعرف أسماء المسافرين.

فالرجل ذو الحاجبين الكثيفين هو الأستاذ وانستيد

وزميله الذى يتلكم الانجليزية برطانة أجنبية هو مستر كاسبار.

تماما كما توقعت.

والعمة جيرالدين الأنيقة هى مسز بورتر.

والفتاة التى ترافقها هى جوانا كروفورد ابنة أخيها.

أمـا الشـاب ذو الشـعـر المشـوش فهـو أملين برايس ويبـدو أن آراءه التقت مع آراء جوانا فى كثير من الأمور، كحب الفن والأدب، والنفور من السياسة والاقتصاد وما إليها.

بينمـا لاذت العـجوزان اللتان تسـافـران معـا بمس مـاربل. وراحتـا تبـادلانهـا الحـديث عن الرومـاتيـزم والأطبـاء والعقـاقـيـر.. وفهمت مس ماربل أنهما قامتا برحلات كثيرة فى أوروبا. وإنهما تدعيان مس لوملى ومس بنتهام. وتقيمـان فى سومـر ست وتجـدان صعوبة فى العثور على بستانى ماهر.

أما السيدتان المتوسطتا العمر اللتان تسافران معا فهما مس كولا ومس بارو. وكانت مس مـاربل على يقين من أنها سبق أن رأت أولاهما، ولكنها لم تذكر قط متى أو أين. وقد خيل إليه أنهما يتجنبانها. وأنهما تسارعان إلى الابتعاد كلما اقتربت منهما.

خمسة عشر شخصا، أحدهم على الأقل له أهميته.

وفى المسـاء تعـمـدت مس مـاربل أن تذكـر اسم مـسـتـر رافـيل فى حديثها. لترى وقعه فى نفوسهم، ولكنها لم تلاحظ شيئًا.

وعلمت مس مـاربل أن السـيـدة الجـمـيلة الأنيـقـة ذات الشـخـصـيـة الواضـحـة هـى مس اليـزابيث تمبل. وأنهـا كـانت تعـمل ناظرة لإحـدى مدارس البنات المشهورة ثم تقاعدت.

وأن المهندس النحيل الجسم هو ريتشارد جبسون.

وخيل إلى مس ماربل أنه لا يوجد بين المسافرين من يمكن أن يكون قاتلاً سوى كاسبار. ولكن لعل سبب ريبتها فيه أنه أجنبى.

أوت مس ماربل إلى فراشها وهى متعبة منهوكة القوى.

كانت الرحلة ممتعة، ولكن محاولة تقييم خمسة أو ستة عشر راكبًا لمعرفة ما إذا كان لأحدهم صلة بجريمة قتل أتعبتها وأنهكت قواها.

وقبل أن تنام. ألقت نظرة أخرى على أسماء المسافرين.

مسز بورتر.؟ إنها سيدة مجتمع شديدة الاعتزاز بنفسها ومركزها ولا يمكن أن تقدم على ارتكاب جريمة.

جوانا كروفورد؟ مثل عمتها.

مس اليزابيث تمبل.؟ إنها شخصية محترمة تشع نزاهة ونبلا. إذا حدث وارتكبت جريمة. فإنها ترتكبها خدمة لغرض اجتماعى أو هدف من أسمى الأهداف. ولكن لا. إنها سيدة متزنة العقل والتفكير. تعرف دائما ماذا تفعله. ولماذا تفعله. ولا يمكن أن يغريها هدف مهما بلغ نبله إلى التورط فى الإثم.

ومع ذلك.. فإنها ربما تكون الشخص الذى أراد رافيل أن أقابله فى هذه الرحلة لسبب ما.

وعادت إلى استعراض المسافرين.

الأستاذ وانستيد.؟ ترى هل هو عالم أم طبيب؟ إنها شخصيا لا تعرف شيئًا عن العلم أو الطب، ولكن يبدو على الرجل أنه إنسان طيب القلب.

مستر بتلر وزوجته؟ إنهما أمريكيان. وليست لهما صلة بأحد تعرفه.

مس كوك ومس بارو؟ امرأتان عاديتان. ولكنها واثقة من أنها رأت

أولاهما فى مكان ما.

الكولونيل ووكر وزوجته؟ أنهما شخصان ظريفان ويبدو أن الرجل أمضى مدة خدمته فى الخارج. وأكبر الظن أنهما فوق الشبهات.

مس بنتهام ومس لوملى؟ إنهما من أبعد الناس عن الجرائم. وإذا كانت لديهما معلومات فهى عن الروماتزم وتصلب الشرايين.

مستر كاسبار؟ إنه رجل سريع الانفعال وربما كان خطرًا ولذا يحسن وضعه تحت الرقابة.

أملين برايس؟ يبدو أنه طالب. ومن أبرز صفات الطلبة فى هذه الأيام العنف، ولكن هل يمكن أن يكون مستر رافيل قد أرادها على أن تتعقب طالبا؟ إن ذلك يتوقف على ما فعله الطالب أو ما يريد أن يفعله. أو ما سوف يفعله. آه. يا الهى. أننى تعبت.

وغلبها النعاس فنامت، ورأت فيما يرى النائم أن حاجبى الأستاذ وانستيد الكثيفتين قد سقطتا. واستيقظت على الأثر، وخيل إليها أن هذا الحلم قد حل اللغز، وأن وانستيد لابد أن يكون هو القاتل الذى يريدها رافيل أن تتعقبه.

ولكنها ما لبثت أن اعترفت بينها وبين نفسها بأن سقوط حاجبى وانستيد لم يحل شيئا.

وجفا النوم عينيها فاعتدلت جالسة فى فراشها، وتناولت دفتر مذاكرتها وكتبت ما يلى:

«من المحقق أن المهمة التى اسندت إلى تتعلق بجريمة ما. فقد قال مستر رافيل ذلك صراحة فى رسالته. قال أن لى حاسة سادسة فيما

يتعلق بالعدالة. وذلك يستتبع بالضرورة أن يكون لى حاسة سادسة فيما يتعلق بالجريمة.

وإذن فهناك جريمة. وواضح أنها ليست جريمة تجسس، أو السرقة أو التزوير. فهذه ألوان من الجريمة لم تمر بى، ولا دراية لى بها.

أن مستر رافيل لا يعرف عنى سوى ما عرفه خلال أقامتنا فى جزيرة (سان أونوريه) فقد جمعت بيننا هناك جريمة قتل، ولابد أنه لاحظ وقتئذ: مبلغ ولعى بإماطة اللثام عن جرائم القتل التى تقع فى المنطقة التى أقيم بها.

وأعتقد أن الوقت قد حان لتحليل المهمة التى أخذتها على عاتقى تحليلا منطقيا.

أن التعليمات التى وصلتنى حتى الآن لا تكاد تدرك، ولذلك يجب أن أسأل نفسى سؤالاً صريحًا:

– ما هى مهمتى؟

الجواب:

– لا أعلم.

ولما كان من الغريب حقا أن يسند إلى مستر رافيل– وهو من رجال المال والأعمال الناجحين– مهمة مجهولة لا أعرف عنها شيئًا. إذن يجب أن افهم أنه لا يريد منى سوى أن أعتمد على مواهبى وقوة ملاحظتى فى تنفيذ التعليمات التى يصدرها لى صراحة أو تلميحاً.

ومعنى ذلك أن هناك تعليمات سوف أتلقاها.

أما المهمة ذاتها فإنها خاصة بالعدالة. إما لتصحيح خطأ من

أخطاء العدالة، أو الانتقام من مجرم بتقديمه إلى العدالة.

وذلك يتفق مع كلمة السر (عدالة السماء) التى ذكرها مستر رافيل فى رسالته.

ولقد دبر مستر رافيل قبل وفاته موضوع اشتراكى فى الرحلة رقم ٣٧ من رحلات (جميعة القصور التاريخية والحدائق المشهورة).

لماذا؟

ذلك ما يجب أن أتساءل عنه.

ترى هل لمهمتى صلة بإحدى الحدائق أو أحد القصور التى سنزورها خلال الرحلة؟

لا أعتقد ذلك.

إذن فليس المهم هو القصور والحدائق.. إنما المهم هم الناس الذين يشتركون فى الرحلة.

وليس بين هؤلاء الناس من أعرفه شخصيًا. ولكن لابد أن بينهم واحدًا على الأقل له صلة باللغز الذى يطلب منى حله.

واحد على الأقل من هذه الجماعة له صلة بجريمة قتل، أو بشخص كان ضحية فى جريمة قتل.. أو ربما كان هو نفسه قاتلاً».

وهنا كفت مس ماربل عن الكتابة فجأة. وهزت رأسها مرارًا تعبيرًا عن رضائها عن هذا التحليل.



وفى اليوم التالى زاروا قصرا يرجع عهده إلى عهد الملكة آن. ولم تكن الرحلة طويلة أو متعبة. وكان القصر جميلاً وله تاريخ شيق.

وقد أعجب ريتشارد جيمسيون- المهندس- بما رأى، ولما كان من الشباب الذى يلتذون بسماع أصواتهم، فقد راح ينتقل بين الغرف ببطء شديد، ويتحدث عن المواقد والأعمدة والنقوش والقباء حديث خبير عليم. ويقرن كلامه بذكر التواريخ والمراجع.

وأصغى إليه البعض باهتمام فى البداية، ثم استولى عليهم الملل فأخذوا ينفضون الواحد تلو الآخر. وكان أشد الجميع تبرما هو مرشد القصر الذى ضايقه أن يغتصب المهندس الشاب اختصاصاته، ويستأثر بشرح معالم القصر، فحاول أن يمسك بزمام الموقف ولكن المهندس لم يمكنه من ذلك، وفى النهاية قام المرشد بمحاولة أخيرة فقال:

هذه الغرفة سيداتى وسادتى هى الغرفة البيضاء وقد وجدت بها جثة شاب مطعون بخنجر. حدث ذلك فى بداية القرن السابع عشر، وقيل إن الليدى موفات سيدة القصر كان لها عشيق تعودت أن يدخل

القصر من باب جانبى صغير، ثم يرقى السلم ويتسلل إلى هذه الغرفة من باب سرى بجوار المدفأة.. وذلك فى غياب الزوج، السير ريتشارد موفات الذى كان وقتئذ فى زيارة لهولندا..

وقيل أن السير موفات عاد يومًا فجأة، وضبط العاشقين فى حالة تلبس.

وكف المرشد عن الكلام، ونظر حوله. وسره أن يرى اهتمام الموجودين وارتياحهم إلى حديثه بعد إذ سئموا المعلومات الفنية والهندسية التى أكرهوا على سماعها.

وهتفت مسز بتلر بلهجتها الأمريكية:

– يا لها من قصة ظريفة.

واشتد اللغط وكثرت التعقيبات على القصة فانتهزت مس ماربل وبعض السيدات الفرصة وتسللن إلى الخارج وهبطن الدرج إلى الطابق الأرضى.

وقالت مس ماربل تحدث مس كوك ومس بارو، وكانتا تسيران بجانبها:

– لقد تعرضت احدى صديقاتى ذات يوم لتجربة تمزق الأعصاب إذ دخلت قاعة المكتبة فى صباح أحد الأيام فوجدت بها جثة.

فقالت مس بارو:

– جثة شخص من أفراد الأسرة؟ لا شك أنه أصيب بأزمة قلبية.

– كلا. كانت جريمة قتل. وكانت الجثة لفتاة غريبة ترتدى ثياب السهرة. فتاة جميلة شقراء ولكن كان من الواضح أن شعرها مصبوغ.

وقد ظهر أن.

وكفت عن الكلام ونظرت إلى مس كوك، وتعلقت عيناها بخصلة من الشعر الأشقر تتدلى من تحت المنديل الذى تعصب به رأسها.

وتذكرت فجأة. وعرفت لماذا بدا وجه مس كوك مألوفًا ولماذا أحست بأنها قد رأته من قبل.

لقد كان شعر مس كوك بنيا داكنا. أما الآن فإنه أشقر فى لون سنابل الحنطة.

وفى هذه اللحظة. لحقت بهن مسز بورتر بعد أن هبطت درج السلم وقالت بحدة:

- الحق أننى لم أعد أستطيع الصعود والهبوط أكثر مما فعلت، ثم إن الانتظار فى الغرف متعب للغاية. أعتقد أن حديقة القصر وأن تكن صغيرة إلا أنها مشهورة فى دوائر هواة فلاحة البساتين، فهلموا بنا إليها.

قالت ذلك بلهجتها الحاسمة المألوفة. وكانت النتيجة أن جميع الذين سمعوها. خرجوا فى أثرها إلى الحديقة.

وجلست مسز بوتر على مقعد بجوار الكولونيل ووكر. بينما وقع اختيار مس ماربل على أقرب مقعد، فتهالكت عليه تتنهد بارتياح. وما لبثت ان سمعت تنهيدة مماثلة صادرة من اليزابيث تمبل التى تبعتها وجلست بجوارها.

قالت هذه الأخيرة:

- إن تفقد هذه القصور أمر متعب ومثير للملل، خاصة حين

يضطر الإنسان إلى الاصغاء إلى محاضرة لا نهاية لها فى كل غرفة.

فقالت مس ماربل فى شىء من السخرية:

- هذا صحيح. إن جميع المحاضرات التى سمعناها اليوم كانت غاية فى الطرافة.

- أتظنين ذلك؟

واستدارت لمس ماربل، وتلاقت عيون المرأتين، فى نظرة يمتزج فيها المرح بالتفاهم المتبادل. وقالت مس ماربل:

- أتظنينه أنت؟

- كلا.

وهنا توثق التفاهم التام بينهما، وساد الصمت بينهما لحظة، ثم بدأت اليزابيث تمبل تتحدث عن الحدائق. وعن حديقة ذلك القصر بصفة خاصة.

- لقد قام هولمان بتنسيقها بين عامى ١٧٩٨ و ١٨٠٠ ومات وهو فى شرخ شبابه. وذلك أمر يؤسف له حقا. فقد كان عبقريا فذا.

- من المحزن حقا أن يموت الإنسان وهو فى عنفوان شبابه.

- ربما.

- إن الذى يموت صغيرًا تفوته أشياء كثيرة.

فقالت اليزابيث تمبل:

- أو يفلت من أشياء كثيرة.

- إننى- بعد أن بلغت هذه السن لا أتمالك من الاحساس بأن الموت

المبكر يعنى ضياع الكثير من متع الحياة.

–وأنا الذى قضيت حياتى كلها تقريبا بين الشباب أنظر إلى الحياة طالت أو قصرت كوحدة زمنية كاملة.

فقالت مس ماريل:

– فهمت. تعنين أن الحياة مهما كان طولها هى تجربة كاملة. ولكن ألا تشعرين بأن الحياة قد تبدو ناقصة إذا انتهت فى وقت مبكر.؟

– هذا صحيح.

فنظرت مس ماريل إلى بعض الزهور القريبة منها وغمغمت قائلة بلهجة الاعجاب:

– ما أجملها.

فتحولت إليها اليزابيث تمبل وقالت:

– هل قمت بهذه الرحلة لرؤية القصور أو رؤية الحدائق؟

– أظن أننى قمت بها لرؤية القصور.. إن ذلك لا يمنعنى من الاستمتاع بالحدائق. ولكن زيارة القصور بأشكالها المتباينة وأثاثها القديم ولوحاتها الثمينة هى تجربة جديدة بالنسبة إلى.

ثم استطردت قائلة بعد صمت قصير:

– قد هيأ لى هذه الرحلة صديق كريم. وأنا شاكرة له. هل تعودت أنت الاشتراك فى مثل هذه الرحلات الترفيهية؟

– كلا. وهذه الرحلة ليست بالنسب لى رحلة ترفيهية.

فحدقت مس ماريل فى وجهها. وهمت بأن تلقى سؤالاً ثم أمسكت.

وابتسمت مس تمبل وقالت:

- هل تتساءلين لماذا أقوم بهذه الرحلة؟ حسنا. لماذا لا تحاولين أن تخمني؟

فنظرت إليها مس ماربل طويلاً ثم قالت:

- إن تخميناتى لن تعتمد على ما عرفته أو سمعت به عنك من أنك شخصية مشهورة، وأن مدرستك لها صيت ذائع.. وأنها تعتمد على ما أراه أمامى. أنك تبدين فى نظرى كشخص يقوم برحلة من أجل الحج.

فساد صمت عميق قطعته اليزابيث تمبل أخيرًا بقولها:

- أنك أحسنت التعبير.. نعم. أنها رحلة حج.

فقالت مس ماربل بعد لحظة :

- إن الصـــديق الكريم الذى أرسلنى فى هذه الرحله ودفع كل نفقاتها قد توفى.. كان يدعى مستر رافيل، وكان واسع الثراء. فهل سمعت عنه؟

- جيسون رافيل. أننى أعرفه بالاسم فقط ولكنى لم أعرفه شخصيا ولم أقابله. لقد تبرع بمبلغ كبير لمشروع ثقافى كنت أهتم به. نعم. أنه كان غنيا كما تقولين وقد قرأت نبأ وفاته فى الصحف منذ بضعة أسابيع. إذن فقد كان صديقا قديما لك.؟

- كلا. إننى قابلته منذ نحو عام فقط فى احدى جزر الهند الغربية ولم أعرف عنه إلا القليل. أعنى عن حياته وأسرته وأصدقائه كل ما أعرفه عنه أنه كان واسع الثراء. وأنه- كما يقول الناس- كان شديد الانطواء على نفسه. فهل تعرفين أسرته. أو أى شخص يستطيع أن.

وتمهلت قليلاً ثم استطردت قائلة:

- لشد ما يخجلنى أن أبدو فضولية.

فصمتت اليزابيث تمبل نحو دقيقة ثم قالت:

- عرفت فى وقت ما فتاة كانت بين تلميذاتى فى مدرسة (فالوفيلد). لم تكن تمت بقرابة فعلية لمستر رافيل. ولكنها كانت مخطوبة لابنه.

- وهل تزوجته؟

- كلا.

- لماذا؟

- ربما لأنها كانت فتاة عاقلة بعيدة النظر. والواقع أن الشاب لم يكن من الطراز الذى يتمناه الإنسان زوجا لفتاة يهمه أمرها.

كانت فتاة رائعة الجمال، وعلى جانب كبير من دماثة الخلق. ولا أعلم حقا لماذا لم تتزوجه.

ثم تنهدت واستطردت قائلة: وعلى كل حال فإنها ماتت.

- كيف؟

فنظرت اليزابيث تمبل إلى الزهور بضع لحظات وعندما تكلمت بعد ذلك لم تنطق إلا بكلمة واحدة. بصوت كرنين الجرس:

- الحب؟

- إن الحب كلمة رهيبة بل لعلها من أشد الكلمات رهبة فى هذه الدنيا.

دعـــوة

اعترفت مس ماربل بالتعب وتخلفت عن الزيارة التي تضـمنهـا برنامج بعد الظهر.

وقـررت أن تقـضى وقـتهـا فى الحـديقـة إلى أن يحين وقت تناول الشاى. وأيدتها مسز ساندبورن فى ذلك وقالت انه عين الصواب.

وجلست مس مـاربل فى أحـد مـقـاعـد الحـديقـة وراحت تفـكر فى الخطوة التـالية ومـا ينبـغى أن تفعله أو لا تفعله. إلى أن عـاد زمـلاؤها فـانضـمت إليهم فى بهو الشـاى. وحـرصت على أن تجلس على مـائدة واحدة مع مس كوك ومس بارو وشغل الرابع حول نفس المائدة مستر كاسبار. ولكن مس ماربل لم تحفل به لعدم اجادته اللغة الإنجليزية.

وفيما هم يتناولون الشاى، نظرت مس ماربل إلى مس كوك وقالت:

– لقد كنت واثقة من أننا تقابلنا. وعبثا حاولت أن أتذكر متى أو أين. إن ذاكرتى لم تهد كعهدى بها فيما يختص بوجوه الأشخاص الذى أقابلهم. ولكنى على يقين من أننى رأيتك فى مكان ما.

فهزت مس كوك رأسها فى ارتياب ونظرت إلى صديقتها مس بارو،

وكذلك فعلت مس ماربل، ولكن لم تجد ما تقوله لحل هذا اللغز.

قالت مس ماربل:

- انني أقيم فى قرية (سانت مارى ميد) على بعد اثنى عشر ميلا من (لوموث). وهى قرية صغيرة ولكنها أخذت الآن فى الاتساع، فهناك عشرات من المبانى الجديدة تقام فى أطرافها. فهل أتفق لك فى وقت ما أن اقمت فى تلك المنطقة؟

فقالت مس كوك:

- دعينى أفكر. أنني أعرف لوموث جيدا وربما.

وهنا ابتسمت مس ماربل فجأة وهتفت قائلة:

- آه. طبعا. الآن تذكرت. كنت فى حديقتى ذات يوم وإذا بك تتحدثين عبر السور. قلت لى أنك تقيمين فى القرية مع إحدى صديقاتك.

- طبعا. طبعا. يالى من غبيه. الآن تذكرتك. لقد دار الحديث بيننا حول صعوبة العثور على بستاني يعرف مهنته حق المعرفة.

-ويومئذ ذكرت لى اسم الصديقة التي تقيمين معها. ماذا كان اسمها؟

- نعم. كنت أقيم مع.

وترددت لحظة كمن يحاول أن يتذكر. فقالت مس ماربل:

- كانت تدعى مسز سندرلاند.. أليس كذلك؟

- كلا.. كلا.. إنها كانت مسز.

وهنا قالت مس بارو بثبات:

- مسز هاستنجز.

وعلى غير انتظار صاح مستر كسبار:

- هاستنجز؟ إنني رأيت مدينة هاستنجز. وكذلك مدينة ايستبورن. أنها مدينة جميلة على شاطئ البحر.

قالت مس ماربل:

- إنها لمصادفة عجيبة. من كان يظن أننا سنلتقى مرة أخرى بمثل هذه السرعة.

فقالت مس كوك:

- لا عجب ما دمنا جميعا من هواة الحدائق.

فقال كاسبار:

- إن الزهور جميلة.. وأنا أحبها.

وهنا انطلقت مس ماربل تتحدث عن الزهور حديثا فنيا.. اشتركت فيه مس كوك، وأبدت مس بارو بعض الملاحظات. أما كاسبار فإنه غرق فى لجة من الصمت.

* * *

وعندما خلت مس ماربل إلى نفسها قبل العشاء. أخذت تستعرض حصيلتها من المعلومات الجديدة.

لقد اعترفت مس كوك بأنها كانت فى (سان مارى ميد).. وأنها مرت ببيتها. وقالت إن ذلك كان مجرد مصادفة. فهل كان مصادفة حقا؟ أم أنها ذهبت إلى هناك لغرض ما. أو أنها أرسلت إلى هناك عمدا. ولكن لماذا؟

قالت لنفسها بصوت مرتفع:

- أن أية مصادفة يجب أن تظل موضع الاهتمام. إلى أن يثبت أنها كانت مجرد مصادفة.

كانت مس كوك ومس بارو تبدوان كأية صديقتين عاديتين تقومان برحلة كما اعتادتا أن تفعلا كل عام. فقد ذهبتا فى العام السابق- على حد قولهما- إلى هولندا.. وذهبتا فى العام الاسبق إلى ايرلندا الشمالية.

وهما شابتان لطيفتان. ولكن مس كوك ترددت لحظة كما لو كانت تريد انكار زيارتها للقرية، ثم نظرت إلي صديقتها كما لو كانت تسألها الرأى فيما يجب أن تقوله. وواضح أن مس بارو هى صاحبة الكلمة العليا.

وهزت مس ماربل كتفيها وقالت لنفسها:

- ربما كان كل ذلك مجرد أوهام وخيالات. ولعلهما مجرد امرأتين ساذجتين لا أهمية لهما.

وتناولت برنامج الرحلات.

إن رحلة اليوم التالى ستكون شاقة وستبدأ فى ساعة مبكرة، وهى

تتضمن السير مسافات طويلة على شاطىء البحر. ألا يحسن بها أن تتخلف عن هذه الرحلة أيضًا لتقضى يومها فى الفندق.

وفى اليوم التالى، بينما كانت مس ماربل فى طريقه إلى قاعة الطعام بالفندق لتناول الغذاء، إذا بسيدة ترتدى ثوبا من الصوف تدنو منها وتقول لها بصوت ينم عن توتر أعصابها:

- معذرة.. هل أنت مس ماربل. مس جين ماربل؟

فأجابت مس ماربل فى شيء من الدهشة؟

- نعم.. ذلك هو اسمي.

- أنا أدعى مسز جلين. لافينيا جلين. وأقيم مع شقيقتيَّ على مقربة من هنا. وقد علمنا أنك ستحضرين..

- علمتن أننى سأحضر؟

- نعم.. فقدجاءتنا منذ نحو ثلاثة أسابيع رسالة من صديق لنا طلب إلينا فيها أن نذكر تاريخ اليوم.. لأنه اليوم الذى سيصل فيه أعضاء الرحلة التى نظمتها جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة وقال أن احدى صديقاته. أو قريباته. لا أذكر تماما. ستكون بين أعضاء الرحلة.

وبدت الدهشة واضحة على وجه مس ماربل، فقالت مسز جلين:

- الصديق الذى أعنيه هو مستر رافيل.

- مستر رافيل؟ آه. هل تعلمين أنه..

... أنه توفى..؟ وأعتقد أنه توفى بعد كتابة تلك الرسالة بوقت قصير. ولكننا أحسسنا بأن علينا واجبًا مقدسًا هو تنفيذ جميع رغباته. لقد قال لنا فى رسالته أنك ربما ترغبين فى الإقامة معنا يوما أو يومين لأن برنامج الرحلة فى هذه المرحلة شاق للغاية وقد لا يلائم المتقدمين فى السن. لأنه يتضمن السير مسافات طويلة.. وارتقاء بعض التلال والمرتفعات. وأنا وشقيقتاى يسعدنا كثيرًا أن تقيمى معنا فى بيتنا الذى لا يبعد عن الفندق سوى مسيرة بضع دقائق. فترددت مس ماربل لحظة.

لقد أعجبتها مسز جلين بجسمها الملىء ووجهها الصبيح ووجنتيها الموردتين وشدة حيائها.

ثم إن هذه هى تعليمات مستر رافيل. ترى هل أراد بهذه التعليمات أن يحدد لها خطوتها التالية؟

لابد أن يكون الأمر كذلك.

وتحولت إلى مسز جلين التى كانت تنظر إليها بقلق وقالت:

– شكرًا لك.. ولسوف يسرنى أن أقيم معكن.

***

الشقيقات الثلاث

وقفت مس ماربل أمام النافذة ونظرت إلى الحديقة بعينين لا تريان ما أمامهما..

لم يكن مألوفا إلا تلقي على ما ترى من حدائق نظرة رضا أو نظرة استنكار ولكن الحديقة التي امتدت أمامها هذه المرة كانت بقعة أرض مهملة لم يبذل فيها جهد أو مال منذ سنوات عديدة.
كذلك كان البيت وكان الأثاث.

جميع الدلائل تدل على أن هذا البيت الذي يطلقون عليه اسم (البيت القديم) لم يحظ منذ وقت طويل بشيء من العناية أو الحب. رغم ما يبدو فيه من متانة البناء وجمال التنسيق.

لقد تداولته أجيال من البنين والبنات رحلوا جميعًا وانتهى أمره أخيرًا- كما فهمت مس ماربل من كلام مسز جلين وهي ترشدها إلي الغرفة التي خصصت لإقامتها- إلي مسز جلين وشقيقتيها. اللائي ورثه عن عم لهن. وقد جاءت مسز جلين للإقامة فيه مع أختيها بعد أن توفى زوجها.. ثم مرت الأعوام وتقدمت بالشقيقات الثلاث السن، وقل ايرادهن. فعجزن عن استخدام من يعني بأمر البيت والحديقة.

كـذلك فـهـمت مس مـاربل من حـديث مـسـز جلين. أنهـا الأخت الوسطى وأنها الوحيدة التى تزوجت. أما أختاها الكبرى والصغرى فقد ظلتا عانستين.

ولم يكن فى هذا البيت أى أثر من آثار الأطفال. لا كرة. ولا مقعد صغير. ولا عربة أطفال.

كان البيت، بيت شقيقات ثلاث فحسب. ولكنهن ثلاث شقيقات رقـيقـات مهـذبات. من الطراز الذى كـانت مس مـاربل فى يفـاعـهـا تصفهن. بأنهن سيدات كريمات أخنى عليهن الدهر.

ولكن السيدات الكريمات فى هذه الأيام قلما تتقطع بهن الأسباب إلى حد التداعى تحت وطأة الفقر. أنهن يتلقين المعونات من الحكومة والجمعيات وأقاربهن الاغنياء. أو من أشخاص مثل مستر رافيل.

إن وجودها الآن فى هذا البيت القديم يؤكد هذه الصلة بين مستر رافيل والشقيقات الثلاث.

لقد عرف الرجل قبل أربعة أو خمسة أسابيع وعلى وجه التقريب اليوم الذى سيموت فيه.. فرسم خطته بنفس الدقة التى يتوخاها فى عقد صفقاته المالية.

وليس ثمة شك فى أن الرجل كـانت له مـشكلة خـاصـة تضـايقـه وتزعـجـه. مـشكلة لا يسـتطيع حلهـا بنفسـه لأنه مـريض طريح الفراش.ولا ينفع فى حلها وفرة المال أو مهارة المحامين.

قالت مس ماربل لنفسها مستطردة:

– ولهذا فكر فى..

فكر فى أن لها من الصفات ما يؤهلها لحل مشكلته.

ولكن ما هى مؤهلاتها؟

هواية فلاحة البساتين. ومعالجة الجرائم التى تقع فى محيطها.

من المؤكد أن مشكلته لم تكن مشكلة حدائق.. إنها إذن جريمة.

لقد بدأ مستر رافيل بتدبير الأمر مع المحامين. وقام المحامون بما هو مطلوب منهم. وأرسلوا خطابه إليها فى الوقت المناسب. وكان الخطاب مكتوبا بعناية. ولكنه لم يوضح المشكلة. ولم يحدد مهمتها ثم لماذا لم يرسل الرجل فى طلبها قبل موته ليحدثها عن مشكلته.؟ ولكن لا.. إن ذلك يتعارض مع طبيعته.. إنه لا يحب أن يرجو أحدًا. لقد تعود أن يأمر وأن يدفع ثمن الخدمات التي تقدم إليه. وإذا كان قد حدد لمهمتها ذلك المبلغ الضخم. فإنما فعل ذلك لإثارة فضولها. لا لإغرائها، ولعله لم يذكر لها مشكلته بالتفصيل، حتى لا تتأثر بوجهة نظره فيها، فإن الإنسان لا يستطيع أن يتحدث عن أمر إلى شخص آخر، دون أن تفلت منه كلمة أو عبارة تعبر عن وجهة نظره الخاصة. ومن المحتمل فضلا عن ذلك ألا يكون مستر رافيل قد اطمأن إلى صواب رأيه فى المشكلة. خاصة وهو مريض مرضا ربما أشفق منه على سلامة تفكيره وحسن تقديره للأمور. ولذلك آثر أن يترك لها الحرية لتفكر كما تشاء، وتستنتج ما تشاء..

والآن.. لتعد إلى جوهر الموضوع.

أنها الآن في البيت القديم حيث تقيم الأخوات الثلاث، كلوتيلد ولافينيا (مسز جلين) وانثيا، وقد دبر مستر رافيل أمر زيارتها لهذا البيت قبل بضعة أسابيع من وفاته. ولعل ذلك كان أول اجراء اتخذه

بعد أن فرغ من اصدار تعليماته إلى محاميه.

ومعنى هذا أنها أُرسلت إلي هذا البيت لغرض معين، فهل للشقيقات الثلاث صلة باللغز الذى يراد منها حله؟ أو هل فى هذا البيت من الآثار أو الأدلة ما يمكن أن يرشددها إلى اللغز وحله..؟

ذلك ما كانت تفكر فيه مس ماربل وهى تطل من نافذة غرفتها، وتنظر إلى الحديقة بعينين لا تبصران ما أمامهما.

وطرق الباب، ودخلت لافينيا (مسز جلين) وقالت:

- أرجو أن تكون الغرفة قد راقتك.. وهل أساعدك فى اخراج ثيابك من الحقيبة واعدادها؟ هناك امرأة لطيفة تتردد علينا للمساعدة فى أعمال البيت ولكنها لا تحضر إلا صباحا.

فقالت مس ماربل:

- شكرًا لك يا مسز جلين.. أنني لن أخرج من ثيابى إلا ما قد أحتاج إليه خلال إقامتي القصيرة هنا.

- لقد خطر لى أن أدلك على السلم، فإن البيت مترامى الأطراف وبه سلمان وكثيرا ما يضل فيه الغرباء طريقهم.

- هذا كرم منك يا مسز جلين.

- أرجو إذن أن تهبطى إلى الطابق الأرضى لكى نتناول معًا قدحًا من الشراب قبل الغداء.

فوافقت مس ماربل وتبعت مضيفتها ولاحظت وهى تسير خلفها أنها أصغر منها سنًا بكثير. فهي لا تتجاوز الخمسين من عمرها.

وأخذت مس ماربل تهبط درج السلم فى حذر مستعينة فى ذلك

بالحاجز الخشبى، ولم تتمالك من أن تهتف بأعجاب: أنه بيت جميل حقا.. وأعتقد أنه بنى حوالي سنة ١٧٠٠، أليس كذلك؟

– أنه بني سنة ١٧٨٠.

وقادت لافينيا ضيفتها إلى قاعة الاستقبال وهي غرفة فسيحة، بها بضع قطع ثمينة من الأثاث تنتمى إلى عصور مختلفة.

وكانت كلوتيد وأنثيا تنتظران هناك فما أن أبصرتا بمس ماربل حتى خفتا لاستقبالها فقدمت إليها إحداهما مقعدا وقدمت إليها الأخرى قدحا من شراب (الشيري).

وقالت كلوتيلد:

– هل يلائمك هذا المقعد المرتفع يا مس ماربل..؟

– أنني أوثره على سواه.. بسبب آلام الظهر.

وكانت كلوتيلد– كبري الشقيقات الثلاث– طويلة القامة، مهيبة الطلعة، سمراء البشرة سوداء الشعر أما الصغرى انيثا. فكانت نحيفة، وشعرها الأشقر الذى خطه الشيب يتدلى على كتفيها بلا اعتناء.

وهكذا وجدت مس ماربل نفسه وجها لوجه أمام الشقيقات الثلاث: كلوتيلد ولافينيا وأنثيا..

كانت كلوتيلد وسيمة أنيقة..

وكانت لافينيا بسيطة المظهر ضاحكة السن..

أما أنثيا فكانت لها عينان رماديتان واسعتان.. وجفن يختلج بين الفينة والفينة بحركة عصبية. وكانت لها طريقة عجيبة في النظر يمينًا ثم يسارًا ثم إلي الخلف من فوق كتفها كما لو كانت تشعر بأن

هناك من يراقبها طول الوقت.

وتجاذب النساء الأربع أطراف الحديث، ثم انصرفت لافينيا إلي المطبخ، ويبدو أنها كانت أكثر الشقيقات اهتمامًا بشئون البيت، فاستمر الحديث بدونها وتناول قصة البيت القديم فقالت كلوتيلد أنه كان ملكًا لعمها، فلما توفى، انتقلت ملكيته إليها هي وأختيها.

واستطردت قائلة: كان لعمى ابن وحيد ولكنه قتل فى الحرب، ونحن الآن آخر سلالة الأسرة.

فقالت مس ماربل وهى تجيل البصر حولها:

- إنه بيت جميل، شيد بعناية..

فقالت كلوتيلد: نعم.. ولكننا نتمنى لو أنه كان أقل اتساعًا..

فقالت مس ماربل: الواقع أن الترميمات تتكلف كثيرًا هذه الأيام.

- لقد رأينا بعض أجزاء منه تتداعى تحت أبصارنا دون أن نستطيع شيئًا.. وكان فى الحديقة بيتا كبيرا للزهور والفاكهة. ولكنه انهار فلم يبق منه إلا الحطام.

فقالت أنثيا: كانت تنمو به أنواع من الأعناب والفاكهة لا مثيل لها. لشد ما أشعر بالأسف لانهياره.. ثم جاءت الحرب فلم نستطع أستخدام بستاني للعناية بالحديقة.

وتنهدت الأختان، تنهيدة من يرى الزمن يمر.. والظروف تتغير.. ولكن ليس إلى أفضل.

وقالت مس ماربل لنفسها: إن فى هذا البيت حزنا لا يمكن ازالته.. لأنه تغلغل فى الأعماق.. ومرت بجسدها رعدة.

الحديقــة

كان طعام الغداء جيدًا، وقد تناولته مس ماربل ومضيفاتها في قاعة فسيحة تزين جدرانها صور بعض أفـراد الأسـرة، ودار الحـديث عن الرحلة، فقالت كوتيلد :

– هل كان مستر رافيل صديقًا قديمًا لك..؟

– ليس بمعنـي الكلمـة. فقد قابلته لأول مـرة خلال رحلة إلى جزر الهند الغربية أعتقد أنه قام بها للاستشفاء.

فقالت أنثيا :

- هذا صحيح. فإنه كان مشلولا خلال السنوات الأخيرة.

فقالت مس ماربل: أنني أعجبت بنشاطه وقوة مقاومته.. فقد كان يعمل طوال النهار، ولا يكف عن املاء الرسائل وارسال البرقيات.. ولم يستسلم قط للمرض.

فقالت لافينيا:

– أننا لم نره كثيرًا خلال الأعوام الأخيرة ولكنه كان يذكرنا دائمًا

فى أعياد الميلاد.

وسألت أنثيا: هل تقيمين فى لندن يا مس ماريل.

– كلا. أنني أقيم فى الريف فى قرية صغيرة بالقرب من «لوموث» تبعد عن لندن نحو خمسة وعشرين ميلاً.

ثم استطردت قائلة:

– أظن أن مستر رافيل يقيم فى لندن. أنني لاحظت العنوان الذى سجله فى دفتر الفندق بجزيرة أونوريه، وهو ميدان ايتون.. أو ميدان بلجريف.. لست أذكر تمامًا.

فقالت كوتيلد: كان له كذلك بيت فى (كنت) اعتاد أن يدعو إليه أصدقاءه من رجال الأعمال.. ولكننا لم نزره هناك قط. كنا نراه فقط كلما ذهبنا إلى لندن. وكان يحتفى بنا ويكرم وفادتنا.

فقالت مس ماربل: الحق أنه كان كرمًا منه أن يقترح عليكن استضافتى هنا. فما كنت أتوقع من رجل أعمال كثير المشاغل مثله أن يتذكر أمرًا كهذا.

– إننا دعونا من قبل أصدقاء له كانوا فى مثل هذه الرحلة. والواقع، أن هذه الرحلات مهما بلغ من دقة برامجها لا يمكن أن تلائم الجميع. فالشباب مثلاً لا يضيرهم أن يسيروا مسافات طويلة، أو أن يرتقوا التلال والمرتفعات، أما كبار السن الذين لا يستطيعون ذلك فإنهم يفضلون البقاء فى الفنادق. والفنادق هنا لا تتوفر فيها أسباب الراحة. أنا واثقة من أن رحلة اليوم ما كانت لتلائمك. وكذلك رحلة الغد التى أعتقد أنها ستكون إلى احدى الجزر فى قارب تتقاذفه الأمواج.

فقالت لافينيا:

– إن زيارة القصور ذاتها متعبة للغاية.

فقالت مس ماريل:

– نعم.. أنها متعبة.. وأعتقد أنه ما كان ينبغي على أن أشترك في مثل هذه الرحلات.. ولكن المباني القديمة والأثاث النادر واللوحات الثمينة.. كلها مغريات يتعذر مقاومتها.

كان كل شيء ممتعا وطبيعيا.. ولكنها لسبب ما كانت تشعر بأن أعصابها متوترة وبأن هناك شيئا غير طبيعي.

وبعد الطعام، رافقتها أنثيا في نزهة بالحديقة.. ولكنها كانت نزهة محزنة.. فكل شيء حولها يدل على أنه كانت هناك في يوم ما حديقة يافعة معتنى بها، وحقل لزراعة الخضر التي يحتاج إليها البيت.

وسارت أنثيا بجوارها، والهواء يعبث بشعرها الطويل.. وراحت تتكلم بلهجة عصبية وعبارات مقتضبة.

قالت:

– أظن أن لديك حديقة جميلة.

فأجابت مس ماريل:

– أنها صغيرة جدا.

وسارتا في طريق مليء بالأعشاب، وانتهيتا إلى شبه تل صغير قائم بجوار جدار السور وهنا قالت أنثيا بحزن:

– هو ذا بيت الزهور.

- حيث كانت توجد أشجار الكروم.

- نعم.. كانت احداها تنتج أعنابا بيضاء صغيرة شديدة الحلاوة. وأخرى تنتج أعنابا ذكية الرائحة.

- ذلك النوع الذى يطلق عليه اسم (شيرى باى).. إن شذاه كالعطر.. ولكن.. هل سقطت هنا قنبلة أطاحت ببيت الزهور..؟

- كلا.. لم تسقط قنابل فى هذه المنطقة.. ولكن البيت تداعى وانهار ولم يكن لدينا المال الكافى لترميمه أو اعادة بنائه.. وحتى لو أعدنا بناءه لما استطعنا صيانته والإفادة منه لعدم وجود البستانى الماهر.. أنظرى كيف نبت العشب بين الأنقاض.

- نعم.. العشب والنباتات المتسلقة السريعة النمو.. أنها تتكاثف بسرعة تفيد فى اخفاء المبانى المتهدمة.. والمناظر الكريهة.. ولكنها إلى جانب ذلك تقتل كل ما حولها من زهر أو نبات.. هل كان بيت. الزهور كبيرًا..؟

فأجابت أنثيا فى حزن:

- نعم.. وكان حافلاً بأشجار الخوخ..

قالت ذلك وأشاحت بوجهها، وسارت فى طريق متعرجة بمحاذاة الجدار.. وأسرعت الخطى كمن يريد الفرار من شىء مقيت، حتى عجزت مس ماربل عن اللحاق بها..

ترى هل كانت الفتاة تشعر بالخجل مما آل إليه أمر بيت الزهور..؟

قالت الفتاة:

- إن لدينا حقلا للزهور التى لا تحتاج إلى عناية. بستانى

متمرس.. ثم سألت فجأة:

– هل تقومين دائما بمثل هذه الرحلة..

– تعنين رحلة جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة..؟

– نعم.. بعض الناس يقومون بها كل عام.

– أن تكاليفها باهظة وفوق ما أطيق.. وهذه الرحلة هدية من صديق لى بمناسبة عيد ميلادى..

– كنت أتساءل عما يحملك على الاشتراك فى رحلة متعبة كهذه.. ولكن مادمت قد تعودت السفر إلى جزر الهند الغربية وأمثالها..

فقاطعتها مس ماربل: وهذه أيضا كانت منحة ابن أخى..

– آه..

– لا أدرى فى الحق ماذا يكون من أمرنا نحن العجائز بدون الشباب.. أنهم كرام ظرفاء. أليسوا كذلك.؟

– فى الحق لا أعلم.. فليس لنا أقارب فى سن الشباب.

– أليس لاختك لافينيا أولاد..؟

– كلا.. وربما كان ذلك أفضل.

فقالت مس ماربل لنفسها وهى تسير مع مضيفتها فى الطريق إلى البيت:

ترى ماذا تعنى بذلك..

الأيام التى مضت

فى منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى طرق باب مس ماربل ودخلت امرأة متقدمة فى السن، تحمل صفحة عليها إناء شاي، وقدح، ووعاء لبن وبعض الخبز والزبد.

قالت المرأة بصوت مرح: طاب صباحك يا سيدتى.. لقد أعددت لك الشاى.. إنه ليوم صحو جميل.. وهـأنذا أرى أنك أزحت الستارة عن النافذة.. هل نمت جيدًا..؟

فأجابت مس ماربل وهى تضع جانبًا كتابا دينيا كانت تقرأه:

- نعم. شكرًا.

- أن زملاءك سيقومون اليوم برحلة شاقة أحسنت صنعا بعدم مرافقتهم.

- الواقع أننى سعيدة بالبقاء هنا.. وقد كان كرما من مسز جلين (لافينيا) وأختها أن يدعوننى للإقامة معهن.

- وكان ذلك خيرا لهن أيضًا.. إن وجود ضيوف يسرى عنهن.

فالبيت كئيب فى هذه الأيام.

قالت ذلك ونظمت بعض قطع الأثاث، ووضعت زجاجة مليئة بالماء الدافئ وسط حوض صغير على حافة المدفأة واستطردت قائلة:

– يوجد حمام فى الطابق الثانى، ولكنى جئتك بماء دافئ حتى لا تتكلفى عناء صعود السلم.

– شكرا لك. يخيل إلى أنك تعرفين هذا البيت جيدا.

– أننى حضرت إليه وأنا فتاة صغيرة، وعملت فيه كوصيفة. كان هناك وصيفتان وثلاثة خدم وطاه، وخادمة مطبخ. ذلك فى عهد الكولونيل. كان لديه كذلك عدد من الخيول، وسائس.. تلك أيام لن تعود.. أيام كانت السعادة ترفرف على هذا البيت، ثم جاءت الأحزان وتوالت.. فماتت زوجة الكولونيل فى ريعان شبابها، وقتل ابنه فى الحرب، وتزوجت ابنته الوحيدة ورحلت مع زوجها إلى نيوزيلندا وماتت أثناء الوضع.. وبقى الكولونيل هنا وحيدا حزينا.

وأهمل البيت حتى تداعى. ثم مات وترك البيت لبنات أخيه مس كلوتيلد وأختيها، وجاءت مس كلوتيلد ومس أنثيا للإقامة فيه، ثم انضمت إليهما مس لافينيا بعد وفاة زوجها.

وتنهدت العجوز وهزت رأسها بحزن واستطردت قائلة:

– ولم يكن فى استطاعتهن عمل شىء لصيانة البيت أو الحديقة..

– كل هذا يدعو للأسف حقا.

– وخاصة بالنسبة إلى الشقيقات الثلاث.. أنهن من أنبل السيدات وأكرمهن.. ربما كانت مس أنثيا شخصية مهزوزة.. ولكن كلوتيلد

تخرجت فى الجامعة وهى متوقدة الذكاء وتتكلم ثلاث لغات. أما مسز جلين فإنها على جانب عظيم من الظرف ودماثة الخلق.. وقد ظننت عندما جاءت أن الأمور ستتحسن ولكن لا أحد يعلم ما يخبئه القدر.. أننى أشعر أحيانا كأن اللعنة حلت على هذا البيت.

فنظرت إليها مس ماربل متسائلة.. وقالت العجوز: لقد توالت الكوارث واحدة بعد أخرى.. سقطت أولاً احدى الطائرات فى أسبانيا وقتل ركابها جميعا وبينهم احدى صديقات مس كوتيلد وزوجها.. وكان لتلك الصديقة وزوجها ابنة فى المدرسة لم تذهب مع أبويها فنجت من الموت، وجاءت بها مس كوتيلد إلى هذا البيت لتقيم معها.. واصطحبتها فى رحلات ايطاليا وفرنسا، وعاملتها كابنتها.. كانت فتاة سعيدة لطيفة.. لا يتصور انسان أن يحدث لها ما حدث..

– وماذا حدث لها..؟ وهل حدث هنا..؟

– كلا.. حمدا لله أنه لم يحدث هنا.. وإن كان بوسعك أن تقولى أنه بدأ هنا.. فهنا قابلته لأول مرة.. كان فى هذه المنطقة وكانت الشقيقات الثلاث يعرفن أباه.. وهو رجل غنى جدًا.. فجاء لزيارتهن وكانت هذه هى البداية..

– ووقع كل منهما فى حب الآخر..

– نعم.. أنها أحبته من أول نظرة.. كان شابًا وسيمًا حلو الحديث.. لا يمكنك أن تتصورى بحال أنه..

– هل انتهت قصة الحب نهاية سيئة وانتحرت الفتاة..؟

– انتحرت..؟ من قال لك ذلك..؟ أنها كانت جريمة قتل صارخة.. لقد خنقت المسكينة وهشم رأسها وشوهت معالم وجهها، وذهبت مس

كلوتيلد للتعرف عليها.. فكانت صدمة لها لم تبرأ منها حتى الآن.

وقد وجدت الجثة على بعد ثلاثين ميلا من هنا، وسط الأعشاب فى محجر مهجور، وقيل أن تلك الجريمة لم تكن أولى جرائم الشاب، وأنه قتل بضع فتيات قبل ذلك..

وكانت الفتاة المسكينة قد اختفت منذ ستة شهور، وبحث عنها البوليس فى كل مكان، إلى أن وجد جثتها فى المحجر...

ألا تبأ لذلك الفتى الشرير.. لقد كان شيطانا رجيما منذ نعومة أظفاره.

يقولون الآن أن هناك مرضى بعقولهم يرتكبون الجرائم مكرهين.. فهم لا يُسألون عما يفعلون.. أما أنا فأقول أن هذا هراء.. وأن القاتل يجب أن يلقى جزاءه فى جميع الأحوال..

- وماذا فعلوا بذلك الشاب؟

- أظن أن عقوبة الاعدام كانت قد ألغيت.. أو أنه نجا من المشنقة لصغر سنه. ومهما يكن الأمر فإنهم وجدوه مذنبا وأرسلوه إلى احدى الإصلاحيات.

- ماذا كان اسم هذا الشاب؟

- كان اسمه مايكل. ولا أذكر لقبه. أن الجريمة حدثت منذ عشرة أعوام. ولا يمكن أن أذكر لقبه بعد كل هذه السنين.. أنه كالأسماء الإيطالية وهو يقترن فى ذهنى باسم صورة.. أو فنان.. أفاييل.. أو رافى..

- مايكل رافيل.

- هو ذاك. وقد أشيع أن أباه واسع الثراء وأنه استطاع تهريبه من

السجن، ولكن أعتقد أن ذلك كان مجرد إشاعة ..

***

إذن فالفتاة لم تنتحر، وإنما قتلت..

لقد قالت اليزابيث تمبل أن (الحب) كان السبب فى موت الفتاة. وذلك صحيح إلى حد ما، فقد أحبت الفتاة فتى لاهيا وبسبب هذا الحب لقيت حتفها.

***

فى ذلك الصباح، عندما هبطت مس ماربل إلى الطابق الأول لم تجد واحدة من مضيفاتها، ربما لأن الوقت كان مبكرا، فخرجت إليها وأخذت تطوف بالحديقة، ليس لأنها كانت معجبة بها، وإنما لأنها أحست احساسا غامضا بأن فيها شيئًا جديرا بالملاحظة، شيئًا يمكن أن يوحى إليها بفكرة، ولكنها لا تعرف بالتحديد ما هو..

ولم يكن يهمها فى ذلك الوقت أن تقابل إحدى الشقيقات، لأنها كانت بحاجة إلى الهدوء.. كى تفكر فيما سمعته من الخادمة العجوز جانيت.

ووجدت أحد أبواب الحديقة مفتوحًا، فخرجت منه وسارت فى شارع القرية، ومرت ببعض الحوانيت الصغيرة، ووجدت نفسها وجها لوجه أمام كنيسة القرية فدخلتها..

كانت كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفكتورى، ولكن يد الإصلاح امتدت إليها فى وقت ما فأقامت ما تداعى من جدرانها.

وجلست مس ماربل على أحد المقاعد وراحت تفكر.

ترى هل أمسكت أخيرًا بطرف الخيط..؟

لقد بدأت الأمور تتضح وتستقيم ولكن بطريقة أبعد ما تكون عن الوضوح.

منذ نحو عشرة أعوام قتلت إحدى الفتيات، واتهم شاب بقتلها.. وأسدل الستار على المأساة وانتهى الأمر. لا لغز ولا مشكلة. فماذا فى استطاعتها أن تفعل؟ وماذا يريدها المستر رافيل أن تفعل؟

لابد أن تحدثها اليزابيث تمبل بالمزيد..

لقد تحدثت اليزابيث عن فتاة كانت مخطوبة لمايكل رافيل. ولكن هل ذلك صحيح؟

لعل الأصح هو القصة التقليدية التى ألفت سماعها فى قريتها. الفتاة تلتقى بالشاب. وتتطور العلاقة بينهما. وتتورط الفتاة، وتحمل سفاحا، فتطلب إلى الشاب أن يقترن بها، ولكنه لا يريد الزواج ولعله لم يفكر فى الزواج، أو لعل أباه لا يوافق على هذا الزواج، وتصر أسرة الفتاة على ضرورة إصلاح الموقف، ويكون الشاب قد سئم الفتاة أو يكون قد اتصل بفتاة أخرى، فيقرر حسم الموقف بطريقة سريعة وحشية، ويخنق الفتاة ويهشم رأسها حتى لا يتعرف عليها أحد.

تلك هى القصة التقليدية المألوفة.

وعندما وصلت مس ماربل فى تفكيرها إلى هذا الحد. نهضت واقفة، وأجالت حولها نظرة أخيرة.

كان الهدوء شاملا. ولا شئ حولها يدعو إلى التفكير فى الشر والجريمة خلافا لما أحست به فى البيت القديم.. وما رابها فى قلق أنثيا وحزنها ونظراتها التى تنم عن الخوف والجزع.

ترى هل تعرف الشقيقات الثلاث شيئًا..؟ وما هو؟ لابد أن تحاول الاتصال باليزابيث تمبل غدا.. لكى تعرف منها المزيد.

وعادت مس ماربل أدراجها إلى البيت وهى متعبة مكدودة لا تكاد تشعر بأنها تقدمت خطوة واحدة.

كان الجديد الذى عرفته. هو المأساة القديمة التى روتها جانيت، ولكن ما أكثر المآسى التى تعيها ذاكرة الخدم فى القرى ويتناقلونها جيلاً بعدجيل..

وعندما اقتربت من البيت، وجدت مسز جلين فى انتظارها بالباب، وما أن أبصرت بها حتى خفت لاستقبالها وهى تهتف:

- أهذه أنت؟ كنت واثقة أنك خرجت للنزهة، وأشفقت عليك من التعب.

فقالت مس ماربل: لقد تجولت قليلاً، ودخلت الكنيسة..

- لا شك أنك لم تجدى فيها ما يلفت النظر فقد أفقدتها الترميمات المتتالية مميزاتها المعمارية القديمة.

- الواقع أننى لم أهتم بدراسة طرازها.. إنما ذهبت إليها لأننى أعلم أن الكنائس هى محور الحياة الاجتماعية فى القرى.. هل نشأت فى هذه المنطقة يا مسز جلين..؟

- كلا. كان أبى ضابطا فى المدفعية، وكنا نقيم فى هراسلى، على بعد ثلاثين ميلا من هنا. وكان أبى يأتى بنا أحيانا إلى هذا البيت لزيارة عمى، ثم انتقلت شقيقتاى إلى هنا بعد وفاة العم، أما أنا فقد كنت وقتئذ فى الهند مع زوجى الذى توفى منذ أربعة أو خمسة أعوام.

ولما عدت من الهند أقمت فى كوخ صغير أملكه بالقرب من لندن،

ولكنى شعرت بالقلق على أختىَّ. ووجدت من الضرورى أن أكون على مقربة منهما..

– هل قلقت عليهما بسبب حالتهما الصحية..؟

– كلا. فقد كانت كلوتيلد دائمًا قوية البنية. ولكن انثيا تثير قلقى أحيانا.. إنها غامضة وتشرد أحيانا فلا تدرى أين هى.

– ذلك ما يفعله القلق بالناس.. وما أكثر ما يقلق الناس فى هذه الأيام.

– كلا.. كلا.. أنها ليست قلقة، ولكنها مهمومة.. فهى تذكر الحديقة كما كانت فى عهدها الغابر وتريد أن تنفق عليها لتعيدها إلى حالتها الأولى وكثيرًا ما حاولت كلوتيلد اقناعها بأن ظروفنا المادية فى الوقت الحاضر لا تسمح بذلك. ولكنها لا تفتأ تتحدث عن بيت الزهور وأشجار الخوخ..

– والأعناب ذات الرائحة الذكية.

– هل حدثتك عنها؟ أنها لا تبرح ذاكرتها.. ولكن كلوتيلدلا تريد أن تسمع شيئا عن بيت الزهور وأشجار الخوخ.

فقالت مس ماربل وهى تدخل البيت مع مضيفتها:

– أظن أننى يجب أن ألحق بالرحلة غدا. أنهم سيتحركون فى الساعة التاسعة صباحا على ما فهمت.

– أرجو ألا تكون رحلة متعبة.

– أظن أننى سأكون فى خير حال بعد الراحة التى استمتعت بها هنا.

الحــادث

تناولت مس ماربل شاى الصباح فى منتصف الساعة الثامنة حتى تهيأ لها الوقت الكافى لإعداد حقيبتها.

وكانت بسبيل غلق الحقيبة حين سمعت طرقات سريعة على باب غرفتها ودخلت كلوتيلد وهى بادية الاضطراب.

هتفت قائلة:

– أو آه يا مس ماربل. لقد جاء شاب من رفاقك فى الرحلة يدعى املين برايس. يقول أنهم أرسلوه لمقابلتك.

– إننى أذكره.. هل هو شاب فى مقتبل العمر؟

– نعم.. شاب من الجيل الجديد بشعره الطويل وثيابه ذات الألوان الصارخة. ولكنه جاء لينهى إليك نبأ سيئًا. فقد وقع حادث.

فدهشت مس ماربل وهتفت:

– وقع حادث؟ للسيارة؟ هل أصيب أحد؟

– كلا.. ليس للسيارة.. لقد وقع الحادث بعد ظهر أمس خلال الرحلة. كانت الريح عاصفة.. وكان أعضاء الرحلة فى طريقهم لشهود

البرج التذكارى فوق تل (بونافنشر) ويبدو أنهم تفرقوا ، فارتقى بعضهم التل مباشرة، وسار البعض الآخر فى الطريق المألوف على السفح للوصول إلى القمة. ولم يكن هناك من يرشدهم أو يوجههم. ثم حدث أن انهارت بعض الصخور من قمة التل فأصابت واحدا ممن كانوا على السفح.

– رباه. هذا مؤسف حقا. ولكن من الذى أصيب؟

– فهمت من الشاب أنها سيدة تدعى مس تمبل.

– اليزابيث تمبل. يا الهى. إنها كانت بجوارى فى السيارة. وهى معروفة. كانت ناظرة لاحدى المدارس.

فقالت كلوتيلد :

– أننى أعرفها جيدا. كانت ناظرة مدرسة (فالوفيلدا) المشهورة. ثم تقاعدت منذ عام أو عامين. وحلت محلها ناظرة شابة ذات آراء تقدمية. ولكن مس تمبل ليست عجوزا. إنها على جانب عظيم من النشاط، وتهوى الرياضة والرحلات وتسلق الجبال. ولم يخطر لى ببال أنها فى هذه الرحلة.. أننى لم أعرف التفصيلات ولكنى أرجو ألا تكون أصابتها خطيرة.

فقالت مس ماربل وهى تلقى نظرة أخيرة على الحقيبة:

– لقد فرغت من هذه الحقيبة فهلمى بنا..

فقالت كلوتيلد وهى تتناول الحقيبة:

– دعينى أحملها عنك. وكونى على حذر وأنت تهبطين السلم.

ووجدت مس ماربل أملين برايس فى انتظارها.

كان مشوش الشعر أكثر من المعتاد، ويرتدى جاكتة من الجلد وسروالا أخضر.

قال وهو يشد على يدها:

- هل علمت بالحادث المؤلم الذى وقع لمس تمبل..؟ أننى لا أعرف كيف حدث ولا أعلم أكثر من أن حجرا سقط من القمة وانحدر على السفح وهوى عليها فأصيبت بارتجاج فى المخ ونقلت إلى المستشفى ليلة أمس، وأعتقد أن حالتها سيئة.

وقدجئت لكى أقول لك أن رحلة اليوم قد ألغيت وأننا سنقضى الليلة هنا.

- إننى آسفة حقا.

-أظن أنهم قرروا الغاء رحلة اليوم انتظارا لتقرير الطبيب. وسنقضى الليلة فى الفندق وسوف يترتب على ذلك اجراء بعض التعديل فى برامج الرحلة. وقد ذهبت مسز ساندبورن إلى المستشفى فى ساعة مبكرة من صباح اليوم ولكنها ستلحق بنا فى الفندق فى الساعة الحادية عشرة. ولذلك خطر لى أنك ربما تودين العودة إلى الفندق لسماع آخر الأنباء.

فقالت مس ماربل:

- سأعود معك فورا بطبيعة الحال.

وتحول لوداع كلوتيلد ولافينيا التى كانت قد انضمت إليهم.

- يجب أن أشكركم على ما لقيت هنا من حفاوة، والواقع أننى قضيت ليلتين رائعتين نعمت فيهما بالراحة التامة.

فقالت لافينيا:

- إذا أردت قضاء ليلة أخرى فأنا واثقة من أن. ونظرت إلى كلوتيلد:

ولمحت مس ماربل فى عينى كلوتيلد نظرة اعتراض، ولاحظت أنها هزت رأسها هزة خفيفة لا تكاد ترى فأدركت أنها لا توافق على اقتراح أختها. التى استطردت قائلة بلسان متلعثم:

- صحيح أن الأفضل فى مثل هذه الظروف أن تكونى مع الآخرين.. ولكن قاطعتها مس ماربل:

- نعم. ذلك أفضل.. ولو على الأقل لكى أعرف كيف سيتصرفون، وربما استطعت أن أكون ذات فائدة بطريقة أو بأخرى.. وأعتقد أننى سأجد لنفسى مكانا فى الفندق فشكرا مرة أخرى.

فقال املين برايس:

- أن بالفندق غرفا كثيرة خالية وأظن أن مسز ساندبور قد حجزت فيه أماكن لكل أعضاء الرحلة.

وحمل الشاب حقيبة مس ماربل، وقال وهو يوسع الخطى:

- إن الفندق قريب من هنا.. فى الشارع التالى إلى اليسار.

- أعلم ذلك. مسكينة مس تمبل. أرجو ألا تكون أصابتها جسيمة.

- لقد نقلت إلى مستشفى (كاريستاون) على بعد ثمانى كيلو مترات. إذ لا توجد هنا مستشفيات ولا شك أنك تعرفين العبارة المألوفة التى يقولها الأطباء عادة عن حالة المصابين.. من أنها ليست أسوأ مما كان متوقعا. أما أنا شخصيا فأعتقد أن أصابة مس تمبل

جسيمة. وعلى كل حال فإن مسز ساندبورن ستأتينا بالخبر اليقين.

ووصلا إلى الفندق ليجدا أعضاء الرحلة يتناولون طعام الإفطار، وسمعا مسز بتلر تقول لزوجها:

- أليس من المزعج أن يقع هذا الحادث المحزن ونحن فى أجمل مرحلة من مراحل الرحلة؟ مسكينة مس لمبل، كنت أظن دائمًا أننا أوفرنا نشاطا وأثبتنا قدما.

فقال زوجها:

- أنت تعلمين أن وقتنا محدود، وقد كنت أفكر فى الحو واللحظة فى أنه لو حلت عند هذا الحد لأن الأمور لن تستقيم بسرعة أو بسهولة. وإذا حدث ما لا نتوقعه أو نرجوه فلابد أن تشرح الجثة ويجرى تحقيق..

فهتفت زوجته:

- بالله لا تقل هذا الكلام المخيف يا هنرى.

وقالت مس كوك:

- انك شديد التشاؤم يا مستر بتلر.. أنا واثقة من أن الإصابة ليست بهذه الخطورة.

وقال كاسبار برطانته الأجنبية:

- بل إنها خطيرة للغاية.. لقد سمعت حديث الطبيب إلى مسز ساندبورن.. قال أنه ارتجاج فى المخ وأنه لابد من استدعاء طبيب متخصص ليرى ما إذا كان يمكن إجراء جراحة.

فقالت مس لومل العجوز لصديقتها:

– ربما كان الأفضل أن نعود إلى بيوتنا بالمدريدي.

ثم التفتت إلى مسز بتلر وقالت:

– أننى اتفقت مع الجيران على ترتيب خاص لقططى.. وأخشى إذا تأخرت يوما أو يومين أن يحدث ما لا تحمد عقباه.

وقالت جوانا لعمتها:

– هل ترين مانعا من أن أخرج مع املين للنزهة فى القرية.. أن ذلك أفضل من الجلوس هنا والإصغاء إلى شتى الملاحظات المحزنة.

فقالت مس كوك:

– إننى أؤيد هذا الرأى.

وقالت مس بارو قبل أن تتمكن مسز بورتر من الاجابة:

– اذهبى يا بنية.. اذهبى.

قالت ذلك ونظرت إلى مس كوك، ونظرت مس كوك إليها. وتنهدتا.

وانتهى طعام الافطار، وبدأت دلائل القلق تبدو على وجه أعضاء الرحلة. لقد أبدى كل منهم رأيه فى الكارثة وعبر عن دهشته أو حزنه. ولم يبق لهم إلا أن يجلسوا فى وجوم فى انتظار الأخبار.

وأخيرا نهضت مس كوك وقالت أنها ستذهب إلى القرية لتتسوق.. وحذت مس بارو حذوها.. وتبعهما الكولونيل ووكر زوجته وقالا أنهما سيخرجان للنزهة فى الحقول.. وقال بتلر وزوجته أنهما سيحاولان البحث فى حوانيت القرية عن تحف يقتنيانها. وانطلق املين برايس للحاق بجوانا.. والتفت الأستاذ وانستد إلى مس ماربل وقال:

– أظن أن الجلوس فى شرفة الفندق المطلة على الطريق أفضل من البقاء هنا.. ألا ترين ذلك أنت أيضًا.؟

فنهضت مس ماربل..

لم تكن قد تبادلت معه كلمة واحدة خلال الرحلة، ولكنها لاحظت أنه يحمل دائمًا كتابًا فى يده.. ولا يكف عن القراءة حتى فى السيارة.

قال لها:

– إننى أفضل الانتظار فى مكان هادئ حتى تعود مسز ساندبورن.. فإن من الضرورى أن نعرف حقيقة الموقف.

فقالت مس ماربل: إننى أتفق معك فى ذلك..

وخرجا إلى الشرفة.. وكانت خالية من العملاء وبها عدد من المقاعد المصنوعة من القش.

وقدم إليها وانستيد مقعدا، فانتهزت الفرصة.. ونظرت إليه مليا.. إلى حاجبيه الكثيفين ووجهه المجعد وشعره الغزير الذى خطه الشيب.

قال لها:

– هل أخطئ إذا قلت أنك مس جين ماربل؟

– نعم.. أنا جين ماربل.

وكان صوتها ينم عن الدهشة. وإن لم يكن هناك ما يبعث عليها. فقد قضى أعضاء الرحلة معا وقت طويلاً يكفى لأن يعرف كل منهم الآخر.

قال وانستيد: هذا ما توقعته مما علمته عن أوصافك.

– أوصافى؟

وكان صوتها مفعمًا بالدهشة.. فقال وانستيد بصوت خافت ولكنه مسموع: نعم.. لقدوصفك لى مستر رافيل.

- مستر رافيل؟

- أيدهشك ذلك؟

- إلى حد ما.

- لم أتصور لحظة واحدة أن ذلك سيدهشك..

- الحقيقة أننى لم أكن أتوقع..

ولم تتم عبارتها، ولم يتكلم وانستيد وإنما راح يتأملها ويحدق فيها كما يفعل الطبيب حتى توقعت أن يسألها:

- ما هى الأعراض التى تشعرين بها يا سيدتى العزيزة؟

قالت له: متى وصفت لك..؟ لابد أنه فعل ذلك.

فقاطعها: تريدين أن تقولى أنه فعل ذلك قبل موته ببضعة أسابيع؟ نعم.. ذلك ما حدث.. وقد قال لى: أنك ستشتركين فى هذه الرحلة.

- وهل كان يعلم أنك أنت أيضًا ستشترك فيها؟

- نعم.

- الواقع أننى دهشت أشد الدهشة حين علمت أنه هيأ لى هذه الفرصة الفريدة التى ما كانت لتتاح لى لولا كرمه.

فأطرق وانستيد برأسه ولم يجب، واستطردت مس ماربل قائلة:

- وأنه ما يؤسف له حقا أن يقع هذا الحادث فيعكر صفونا.

– نعم.. أنه حادث محزن لم يكن متوقعا.. أو لعله كان متوقعا.. ما رأيك؟

فبهتت وسألته:

– ماذا تعنى بذلك يا أستاذ وانستيد؟

– لقد حدثنى عنك مستر رافيل بإسهاب، واقترح أن أشترك معك فى هذه الرحلة. لكى يتم التعارف بيننا على نحو ما هو مألوف فى مثل هذه الرحلات حين ينقسم أعضاؤها إلى جماعات.. كل جماعة تضم عددًا من ذوى الميول والاهتمامات المتشابهة.

كذلك اقترح على مستر رافيل أن ألاحظك وأراقبك.

فقالت مستنكرة: تلاحظنى وتراقبنى؟ لماذا؟

– لحمايتك فيما أظن.. لم يكن يريد أن يحدث لك حادث.

– ماذا كان يمكن أن يحدث لى؟

– ما حدث لأليزابيث تمبل مثلا.

وفى هذه اللحظة، مرت بهما جوانا كروفورد وبيدها سلة، فنظرت إليهما فى فضول ومضت فى طريقها إلى داخل الفندق، فقال وانستيد وهو يشيعها ببصره:

– فتاة ظريفة.. إن عمتها المستبدة تستخدمها الآن فيما تستخدم فيه الدواب. ولكنى واثق من أنها ستشق عليها عصا الطاعة قريبًا.. وقريبًا جدا.

ولكن الحديث عن جوانا كروفورد لم يكن يهم مس ماربل أو يعنيها.

قالت بحدة:

- ماذا كنت تعنى بما قلت فى التو واللحظة.

- هذه مسألة يجب أن نناقشها بمناسبة ما حدث.

- تعنى ذلك الحادث الذى وقع لمس تمبل؟

- نعم.. إذا كان حادثًا.

- هل تظن أنه لم يكن قضاء وقدرًا؟

- ذلك محتمل.

- ربما.. فأنا لا أعرف عنه شيئًا.

- ذلك لأنك، كنت غائبة عن المسرح.. أو دعينا نقول. لأنك كنت وقت الحادث تؤدين واجبك فى مكان آخر.

فصمتت مس ماريل، ونظرت إليه من ركن عينيها مرة أو مرتين.. ثم قالت:

- لست أفهم ما تعنى...

- بل أنت تفهميننى جيدا. ولكنك تحذريننى ولك كل الحق فى ذلك لأنك لا تعرفين شيئًا عنى.. كل ما تعرفينه هو اسمى كما جاء فى قائمة أعضاء الرحلة.

مهما يكن من أمر فإن مهمتى كانت أن أراقبك وألاحظ ما تفعلين وأن أكون على مقربة منك فيما لو حاق بك خطر من أى نوع. ولكن الموقف الآن تغير بعض الشىء. وأصبح من واجبك أن تقررى هل أنا خصم أم حليف.

- ربما كنت على حق.. أنك عرضت الموقف بوضوح، ولكنى لا أعرف

عنك ما يساعدنى على الحكم عليك. فهل كنت صديقًا لمستر رافيل.؟

- كلا.. أنا لم أكن صديقًا لمستر رافيل.. لقد قابلته مرة أو مرتين فى اجتماع مجلس ادارة احدى المستشفيات. ولكنى كنت أعرف الكثير عنه. وأعتقد أنه كان يعرف الكثير عنى. إننى أخشى أن تتهمينى بالغرور يا مس ماربل إذا قلت أننى شخص بارز فى المهنة التى أزاولها.

- هل تزاول الطب؟

- أرى أنك قوية الملاحظة يا مس ماربل.. نعم.. أننى أزاول الطب، وتخصصى هو الطب النفسى. وعملى قاصر على الخبرة الطبية فى القضايا الجنائية.. فلقد توفرت على دراسة عقلية المجرمين على اختلاف أنواعهم. وقضيت فى ذلك سنوات عديدة، ولى فى هذا الموضوع مؤلفات أثارت كثيرًا من الجدل فى الدوائر الطبية.

فقالت مس ماربل..

- ما دام الأمر كذلك فعلك تستطيع أن توضح لى بعض أمور لم ير مستر رافيل من المناسب أن يوضحها لى. لقد طلب إلى الاضطلاع بمهمة معينة. ولكنه لم يمدنى بمعلومات أعمل على ضوئها. وكانت حماقة منه أن يعالج الموضوع بهذه الطريقة.

- ولكنك قبلت المهمة.

- سأكون صريحة معك.. إننى قبلتها بسبب الحافز المالى.

- وهل يهمك الحصول على هذا المال..؟

فصمتت مس ماربل لحظة ثم قالت:

- قد لا تصدقنى إذا قلت لك أنه لا يهمنى.

– إذن فقد أثارت المهمة فضولك..؟

– نعم.. أنها أثارت فضولى.. كانت معرفتى بمستر رافيل سطحية فقد قابلته لأول مرة فى احدى جزر الهند الغربية.. ولابد أنك تعرف شيئًا عن هذا الموضوع.

أعرف أنكما تعاونتما معًا هناك.

– هل قال لك ذلك..؟

– نعم.. وقال إن لك حاسة سادسة فيما يختص بالجرائم.

– ألم يثر ذلك دهشتك؟

– أننى قلما أدهش.. ثم إن مستر رافيل كان رجلاً حصيفا يحسن الحكم على الناس.

وسكت لحظة ثم قال: المفهوم أننا اجتمعنا هنا مصادفة أو بتدبير سابق لكى نبحث أمورًا معينة.. ونحن الآن وحدنا ولا أحد يرانا أو يسمعنا، فلماذا لا نتحدث فى صراحة؟

– أننى أرحب بذلك ولكنى أؤكد لك أننى أجهل تماما ما يراد منى عمله. ولا أدرى لماذا تعمد مستر رافيل أن يتركنى فى الظلام.

– لعله أرادك أن تعالجى بعض الحقائق والأحداث بعقل مفتوح وبلا تحيز.

– إذن فليس فى نيتك أنت أيضًا أن تمدنى بمزيد من المعلومات..؟

فابتسم وانستيد وأجاب: بل سأذكر لك حقائق معينة توضح لك بعض الأمور.

– إذن تكلم بحق السماء..

استشــارة

قال وانستيد: ساحدثك بإيجاز عن الظروف التى أقحمتنى فى هذه القضية..

أننى أعمل بين وقت وآخر مستشارًا لوزارة الداخلية، كما أننى على اتصال بالمؤسسات التى يودع به المتهمون فى جرائم معينة، لمدة معينة، أو إلى أجل غير مسمى، وفقا لاعمارهم وأمراضهم العقلية والنفسية.. تنفيذا للأحكام التى أصدرتها محاكم الجنايات.. أو محاكم الأحداث.

وقد جرت العادة أن استشار فى أمر المجرمين عقب اعتقالهم وانتهاء التحقيق معهم، لتقرير مدى مسئوليتهم عن الجرائم التى ارتكبوها، ونوع المعاملة التى يجب أن يعاملوا بها أثناء اعتقالهم، والعقوبة المشددة أو المخففة التى ينبغى أن تطبق عليهم.

ويحدث أحيانًا أن يتصل بى مدير احدى هذه المؤسسات لاستطلاع رأيى فى حالة بعينها.

وذات يوم، تلقيت عن طريق وزارة الداخلية رسالة من مدير احدى المؤسسات، فذهبت لمقابلته، واكتشفت أنه من أصدقائى القدامى الذين انقطعت صلتى بهم منذ وقت طويل.

وعرض على الرجل المشكلة التى تقلقه، وهى مشكلة خاصة بمذنب شاب أرسل إلى تلك المؤسسة قبل أن تسند إليه ادارتها ببضع سنوات.

قال أنه له خبرة بالمذنبين المرضى، وأنه فحص ملف هذا المذنب الشاب. وسوابقه المتعددة، فوجد أنه إنسان منحرف منذ نعومة أظفاره، إنسان مستهتر لا يقيم وزنا للمسئولية. بل مجرم بطبعه وغرائزه، فارتكب جرائم السرقة والتزوير والاحتيال، وهتك العرض.. صفوة القول أنه كان من أولئك الأبناء الذين يجلبون العار على ذويهم.

فغمغمت مس ماريل قائلة: فهمت.

– فهمت ماذا؟

– فهمت أنك تتحدث عن ابن مستر رافيل.

– أصبت.. أنى أتحدث عن ابن مستر رافيل، فماذا تعرفين عنه؟

– لا شيء. إنما سمعت– وكان ذلك بالأمس فقط– أن لمستر رافيل ابنا منحرفًا ذا ماض حافل بالجرائم.. هل كان هو الابن الوحيد لمستر رافيل؟

– نعم.. كان ابنه الوحيد.. ولكن كانت له ابنتان أخريان، ماتت احداهما وهى فى الرابعة عشرة من عمرها، وتزوجت الأخرى وهى سعيدة فى حياتها الخاصة ولكنها لم ترزق بأولاد.

– مسكين ذلك الرجل!!

– ربما.. ولقد ماتت زوجته وهى فى شرخ الشباب، وأعتقد أن حزنه عليها كان عظيمًا رغم حرصه على اخفائه.. ولا أعلم إلى أى مدى كان يهتم بأولاده، ولكنى واثق من أنه كان يعنى بهم أشد العناية وأنه بذل قصارى جهده من أجل ابنه.. أما إذا كان شعوره نحو هذا

الابن فذلك ما لا أعلمه فقد كان من المتعذر قراءة أفكاره أو معرفة مشاعره. وأعتقد أن كل حياته واهتماماته كانت تتركز فى عمله كرجل مالى، شأنه فى ذلك شأن جميع الناجحين من رجال المال والأعمال. لم يكن شغوفا بالمال ذاته. بقدر شغفه بالنجاح.

وأكبر الظن أنه فعل ما يستطيع من أجل ابنه، وأنه استخدم أعظم المحامين لإنقاذه من تبعات جرائمه كلما كان ذلك مستطاعا. إلى أن حلت الكارثة الكبرى، حين اتهم الشاب بالاعتداء على احدى الفتيات وهتك عرضها، فحكم عليه بالسجن، وراعت المحكمة صغر سنه، فلم تأخذه بالشدة.

وبعد أن قضى مدة العقوبة. جاءت الكارثة الثانية والأخيرة.

- قتل احدى الفتيات.. أليس كذلك؟ ذلك ما قيل لى.

- أنه غرر بها وحملها على الهرب معه. ثم وجدت جثتها بعد بضعة شهور، وأثبت الفحص الطبى أنها خنقت ثم هشم رأسها بحجر أو بأداة ثقيلة لاخفاء معالم وجهها حتى لا تعرف شخصيتها.

- يا له من وحش!!

- أهذا رأيك فيه؟

- إن الجرائم التى من هذا النوع تثير غضبى واشمئزازى.. وإذا كنت تتوقع منى أن أعبر عن أسفى وعطفى على هذا المجرم، أو أن ألتمس له عذرا من طفولته أو تربيته أو بيئته.. فأنت مخطئ.. أننى لا أحب الشر ولا الأشرار..

فقال وانستيد: يسرنى أن أعلم ذلك. أنك لا يمكن أن تصدقى كم

أعانى فى مهنتى من أولئك الذين يبكون ويولولون ويصرفرن بأسنانهم ويلقون اللوم كله على البيئة والوراثة والطفولة التعيسة.. ولو علم هؤلاء فى أية بيئة يعيش بعض الناس، وبأية قسوة يعاملون، وأية صعوبات يلقون فى حياتهم.. ومع ذلك يخرجون من هذه المحن كراما شرفاء.. لما بكوا وولولوا. وألقوا اللوم على غير أنفسهم.

إننى أشفق على المرضى والمتخلفين عقليا والذين لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم والتحكم فى تصرفاتهم.. ولكنى لا ألوم البيئة أوالظروف هل تفهمين ما أعنى؟

– نعم.

– لنعد إلى قصتنا. لقد أوضح لى مدير تلك المؤسسة سبب حرصه على معرفة رأيى فيما يهمه ويشغل باله. فقال إن اتصالاته بذلك المذنب الشاب وتجاربه معه ودراسته له. قد أقنعته بأن لا يمكن أن يكون قاتلاً.. ثم قال أنه لا يستطيع أن يصدق أن هذا الشاب قد خنق فتاة ثم القى جثتها فى حفرة. وأهوى على وجهها بحجر.. وأنه توفر على دراسة ملف القضية.. وما تضمنه من حقائق وأدلة.. تتلخص فى أن الشاب كان يعرف الفتاة، وأنه شوهد معها مرارا فى مناسبات مختلفة قبل الجريمة. وأنهما مارسا الجنس معا، وأن سيارته شوهدت بالقرب من مكان الجريمة.

فالأدلة إذن قوية.. وقاطعة، ولكن رأيه الشخصى الذى تولد من تجاربه ومن دراسته للمتهم الشاب تتعارض مع منطق الأدلة.. ولذلك فكر بدافع تعصبه الغريزى للحق والعدل فى استطلاع رأى خبير فى الطب النفسى.. ولما كنت متخصصا فى هذا الفرع من الطب، فقد

أرسل فى طلبى لكى أقابل المتهم وأتحدث إليه، وأقومه، وأبدى رأى الطب النفسى فيه.

فقالت مس ماريل: هو ذا رجل نزيه محب للعدل.. رجل جدير بالاحترام ويجب التعاون معه.

– لقد تعاونت معه، وقابلت المتهم، وتحدثت إليه، وتوفرت على دراسته من جميع النواحى، وناقشته فى النقط القانونية التى يمكن اثارتها.. بل وقلت له أنه من المحتمل أن نستعين بأحد كبر المحامين لإبراز النقط التى فى مصلحته.. تحدثت إليه كصديق. وتحدثت إليه كعدو. لكى أرى ردود الفعل فى الحالتين. وأخضعته لعديد من الاختبارات العلمية التى يلجأ إليها الطب النفسى الحديث.

– وماذا كان رأيك فى النهاية؟

– كان رأيى أن مدير المؤسسة على حق، وأن مايكل رافيل لا يمكن أن يكون قاتلاً.

– وماذا عن القضية الأولى التى أدين فيها بالاعتداء على أحدى الفتيات وسجن؟

– كانت قرينة ضده بطبيعة الحال، ولكنها لم تؤخذ فى الاعتبار، وقد بحثت وقائع هذه القضية مؤخرًا، ووجدت أنها ليست قضية هتك عرض بالمعنى المفهوم، فالفتيات فى هذه الأيام أكثر استجابة لغريزة الجنس، وأقل مقاومة للاعتداء ولكن أمهاتهن يصررن على وصف المغامرة الجنسية بأنها اعتداء، وهتك عرض، وقد ثبت أن الفتاة التى نحن بصددها كان لها أكثر من صديق، وأن العلاقة بينها وبينهم تجاوزت حدود الصداقة البريئة.. ولهذا أعتقد أن هذه القضية الأولى

لم تؤخذ فى الاعتبار عند نظر القضية الثانية؟

– وماذا فعلت بعد ذلك؟

– اتصلت بمستر رافيل، وقلت له أننى أريد مقابلته لأمر خاص بابنه، وتقابلنا، وأوضحت له وجهة نظرى ووجهة نظر المؤسسة التى يقضى فيها ابنه العقوبة، وقلت له أنه لا يوجد لدينا دليل يبرر المطالبة بإعادة نظر القضية ولكننا على يقين من أن الحكم صدر مجافيا للعدالة. فهو خطأ من أخطاء القضاء.

ثم اقترحت عليه القيام بتحقيق ربما يتكلف كثيرا من النفقات. ولكن يحتمل أن يكشف عن حقائق تقنع المسئولين بإعادة نظر القضية.

وكنت قد لاحظت أثناء الحديث أن مستر رافيل مريض جدا، ولم يلبث هو نفسه أن اعترف بذلك، قائلا أن الأطباء أنذروه منذ عامين بأنه سيموت بعد عام واحد، ثم وجدوا فيما بعد أنه قد يعيش أطول مما قدروا له، لصلابته وقوة احتماله واصراره على الحياة.

ثم سألته عن شعوره نحو ابنه: ماذا كان شعوره؟

– كان صريحًا معى رغم..

– رغم جفائه..

– هذا هو الوصف الصحيح يا مس ماريل.. كان رجلاً جافًا بقدر ما كان أمينا.. قال: إننى أعرف ابنى على حقيقته منذ سنوات عديدة. ولم أحاول تقويمه لأنه ليس فى مقدور أحد أن يقومه.. فهو معوج ومطبوع على الشر وإذا خرج من ورطة وقع فى أخرى، لذا نفضت يدى منه فيما عدا أننى كنت أمده بالمال والمعونة كلما أطبق عليه القانون.

لقد فعلت من أجله كل ما أستطيع، ولو كان لى ولد مريض أو مصاب بالشلل أو الصرع لفعلت من أجله كل ما أستطيع لا أكثر ولا أقل. والآن.. ماذا أستطيع أن أفعله من أجله..؟

فقلت له أن ذلك يتوقف على ما يريد هو أن يفعله فأجاب: أن الأمر واضح.. فأنا الآن مريض لا حول لى ولا قوة.. ولكننى أعرف ما ينبغى عمله.. ينبغى أن يرد له اعتباره وأن يطلق سراحه لكى يعيش على نحو ما يريد، فإذا أراد المضى فى عبثه وشروره فذلك شأنه.. سأترك له مالا يعيش منه. وسأفعل كل ما أستطيع من أجله. أننى لا أريده أن يسجن ويتألم ويعزل عن الحياة بسبب غلطة طبيعية تبعث على الأسف.. فإن كان رجل آخر قتل الفتاة فإننى أريد أن يعرف ذلك ويذاع على الملأ.

إننى أريد العدالة لمايكل. ولكنى إنسان مريض. وما بقى لى فى الحياة يحسب بالأسابيع لا بالشهور أو السنين.

فقلت له: أننى أعرف من المحامين من يستطيع..

ولكنه قاطعنى بقوله:

– لا جدوى من المحامين... فى استطاعتك أن تستخدمهم.. ولكن لا جدوى منهم.. سأحاول تدبير الأمر بنفسى فى حدود الفترة القصيرة التى سأعيشها.

وعرض على مبلغا كبيرا لأقوم بالبحث عن الحقيقة دون أن أدخر فى سبيل ذلك جهدًا أو مالاً.. وقال: أنا شخصيا لا أستطيع عمل شىء لأن الموت قد يدهمنى فى أية لحظة. ولكنك ستكون أكبر عون لى وسأختار لك الشخص الذى يساعدك فى مهمتك.

قال ذلك وكتب اسمك (مس جين ماربل) واستطرد قائلاً:

– لن أذكر لك عنوانها لأننى أريدك على أن تقابلها فى المكان والظروف التى سأحددها.

ثم حدثنى عن رحلة (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) وقال أنه سيحجز لى مكانًا فيها.

قال: وستكون مس ماربل فى هذه الرحلة أيضًا وهكذا تلتقيان وكأن الأمر مجرد مصادفة.

وصمت وانستيد لحظة ثم قال: كان على أن أختار الوقت المناسب لأعرفك بنفسى إذا رأيت ذلك ضروريًا.. أو ألا أعرفك بنفسى إذا كان ذلك أفضل.

إننى أتوقع أن تسألينى عما إذا كان لدى أو لدى صديقى مدير المؤسسة من الأسباب ما يحملنا على الارتياب فى أن شخصًا بعينه قد ارتكب الجريمة التى أتهم فيها مايكل.. ولذلك أبادر فأقول لك أننا لا نرتاب فى أحد، وأن صديقى مدير المؤسسة قد بحث هذا الموضوع مع ضابط الشرطة الذى أشرف على تحقيق الجريمة، وهو ضابط كفء له خبرة واسعة فى هذه الأمور.

– ألم يرتب الضابط فى أحد؟ ألم يذكر أى اسم؟ ألم يكن للفتاة صديق سابق انتزعته من قلبها عندما اتصلت بمايكل؟

– كلا.

وصمت وانستيد مرة أخرى ثم استأنف حديثه قائلاً: طلبت إلى مستر رافيل أن يحدثنى عنك فكان كل ما قاله أنك متقدمة فى السن، ولك خبرة بالناس. ثم ذكر عنك شيئًا آخر.

- ما هو؟ هل قال لك أننى شديدة الفضول؟ لعل هذه الصفة الطيبة الوحيدة التى أعرفها فى نفسى. وفيما عدا ذلك فأنا ضعيفة السمع والبصر وأبدو كأى عجوز ساذجة. فهل قال لك شيئًا بهذا المعنى؟

- كلا. ولكنه قال أن لك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة.

- أحقا؟

- هل هذا صحيح؟

- ربما. والواقع أننى كثيرًا ما أحسست بالشر ومكامنه فى الدوائر القريبة منى. أنه إحساس غريزى. ومثلى فى ذلك مثل أولئك الذين يولدون بحاسة شم قوية. أنهم يشمون رائحة الغاز المتسرب بينما لا يشمه الآخرون. ويستطيعون تمييز أنواع العطور بسهولة. كانت لى عمة طالما سمعتها تقول أنها تشم رائحة الكذب. أن الكذب لا رائحة له. ولكنها الحساسية والغريزة. والآن. دعنى أحدثك كيف اشتركت فى هذه القضية.. بعد وفاة مستر رافيل. دعانى محاميه لمقابلته.. واطلعنى على العرض الذى اقترحه مستر رافيل. ثم تسلمت رسالة من هذا الأخير لم توضح لى شيئًا. وبعد فترة من الوقت، جاءتنى رسالة من الشركة التى تشرف على هذه الرحلات، قالت فيه أن مستر رافيل حجز لى قبل موته مكانا من هذ الرحلة خطوة أولى فى الطريق إلى الهدف الذى نشده. وأننى بعد الرحلة أو خلالها سأتلقى مزيدًا من التعليمات أو التوجيهات. وأمس الأول، استقبلت على أثر وصولى ثلاث شقيقات دعوننى لقضاء يومين معهن فى بيتهن القديم، وقلن أنهن تلقين رسالة من مستر رافيل كتبها قبل موته. وقال فيها أن صديقة قديمة له ستكون بين أعضاء الرحلة، وأنه سيكون شاكرًا إذا هن

استضفن هذه الصديقة يومين أو ثلاثة. لأن صحتها لا تسمح لها بارتقاء التل. وشهود النصب التذكارى مع زملائها فى الرحلة التى تضمنها برنامج أمس.

– وهل اعتبرت ذلك أيضًا كتوجيه لك إلى مهمتك؟

– طبعا.. لم يكن هناك تفسير آخر. فمستر رافيل ليس الرجل الذى يكلف نفسه كل هذا العناء لمجرد إشفاقه على سيدة عجوز من متاعب صعود التل. أنه كان يريدنى أن أذهب إلى ذلك البيت.

– وهل ذهبت..؟ وماذا وجدت؟

– لا شىء. سوى ثلاث شقيقات.

– ثلاث شقيقات غريبات الأطوار.

– كلا. ثلاث شقيات عاديات. ولكنهن على جانب عظيم من اللطف ودماثة الخلق، وإن اختلفت كل منهن عن الأخرى، وقد خيل إلى أنهن لا يعرفن مستر رافيل جيدًا. وكانت جميع محادثاتى معهن غير مثمرة.

– إذن لم يتكشف لك شىء خلال إقامتك؟

– بل تكشفت لى الحقائق الأساسية فى القضية التى حدثتنى أنت عنها الآن. ذكرتها لى خادم عجوز ترجع صلتها بالبيت إلى عهد الكولونيل العجوز عم الشقيقات الثلاث. لم تكن تعرف مستر رافيل ولكنها تحدثت عن الجريمة بطلاقة. فقالت أن المأساة بدأت بزيارة ابن مستر رافيل لذلك البيت. وأن الفتاة أحبته وأنه خنقها.

– ألم تفكرى أن للشقيقات صلة بالمأساة..؟

- كلا.. كل ما قالته أن الفتاة كانت ربيبتهن وأنهن أحببنها حب عبادة.

- لعلهن يعرفن شيئًا عن.. عن رجل آخر كان يحب الفتاة؟

- نعم. هذا الرجل هو ضالتنا التى يجب أن نبحث عنها. ولابد أن يكون رجلا فظا لا يتورع عن تهشيم رأس فتاة بعد قتلها. رجلاً من أولئك الذين تخرجهم الغيرة عن صوابهم.

- هل لفت نظرك شىء فى ذلك البيت؟

- لا شىء يستحق الذكر. كانت صغرى الشقيقات لا تكف عن الحديث عن الحديقة كما لو كانت من هواة فلاحة البساتين. ولكنى نصبت لها فخًا.

واكتشفت أنها لا تعرف حتى أسماء الزهور..

وذلك يذكرنى بشىء آخر.

- ما هو؟

- هل رأيت بين أعضاء الرحلة امرأتين فى الحلقة الثالثة من العمر؟ أحداهما تدعى مس بارو والثانية مس كوك؟

- نعم. أعتقد أنهما عانستان تسافران معًا.

- لقد اكتشفت أمرًا عجيبًا عن مس كوك.. أو من تدعو نفسها بهذا الاسم.

- لماذا؟ هل لها اسم آخر؟

- أظن ذلك. أنها نفس المرأة التى مرت ببيتى فى القرية حيث اقيم، وعبرت عن اعجابها بحديقتى. وتحدثت عن الحدائق. وقالت

أنها تقيم مع سيدة تقطن ببيت جديد هناك.

أنا أعتقد أن كل ما قالته كان كذبًا. لأنها أيضًا لا تعرف شيئًا عن الحدائق.

- ماذا كان غرضها إذن من حديثها معك؟

- لم أكن أعلم فى ذلك الوقت. قالت لى يومئذ أن اسمها راتليت. وذكرت للسيدة التى تقيم معها اسما لا يحضرنى الآن.. ولكنه يبدأ بحرف الهاء فيما أظن.. وكان لشعرها لون آخر. كما كانت ثيابها من طراز مختلف. وعندما قابلتها فى هذه الرحلة لأول مرة لم أعرفها. ولكنى شعرت بأن وجهها مألوف. وفجأة تذكرتها حين اكتشفت أن شعرها مصبوغ.. واعترفت لى بأنها ذهبت إلى القرية وزعمت أنها أيضًا لم تعرفنى فى الرحلة. وكل ذلك كان كذبًا.

- وما رأيك أنت؟

- من المؤكد أن هذه التى تدعو نفسها مس كوك قد ذهبت إلى القرية خصيصا لترانى.. حتى تستطيع التعرف على متى تقابلنا مرة أخرى.

وساد الصمت بينهما بضع لحظات إلى أن قال وانستيد:

- إن ما حدث لاليزابيث تمبل يثير قلقى.. هل تحدثت إليها خلال الرحلة؟

- نعم.. وأود أن أتحدث إليها مرة أخرى متى تحسنت حالها. فقد تفضى إلينا بالمزيد عن الفتاة التى قتلت. إنها حدثتنى عن هذه الفتاة التى كانت طالبة فى مدرستها فقالت أنها كانت على وشك الزواج بابن مستر رافيل، ولكنها لم تتزوجه وماتت وعندما سألتها كيف ماتت ولماذا ماتت. أجابت بكلمة واحدة هى (الحب). وظننتها تعنى أن الفتاة

انتحرت. ولكن الحادث كان جريمة قتل. جريمة قتل بسبب الغيرة. ذلك هو التفسير الوحيد. كان هناك رجل آخر يحب الفتاة. ومهمتنا هي البحث عن هذا الرجل. وربما استطاعت اليزابيث تمبل أن تدلنا عليه.

– أليست هناك احتمالات أخرى؟

– أن ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر أكثر من أى شيء آخر هو المعلومات. حتى ولو كانت معلومات غير مباشرة. وقد تكون احدى الشقيقات الثلاث تعرف أو تتذكر شيئًا قالته الفتاة أو قاله مايكل.

لقد كانت كلوتيلد تقوم مع الفتاة برحلات إلى الخارج، فعلها تذكر شيئًا حدث أو كلمة قالتها الفتاة فى احدى هذه الرحلات عن رجل قابلته أو اتصلت به.

أما الأخت الثانية– لافينيا– فإنها تزوجت وعاشت مع زوجها فى الهند، وكانت صلتها بالفتاة أضعف من صلة أختيها، ولكن ذلك لا يمنع من أنها ربما تعرف بعض الحقائق.

وأما الأخت الصغرى، فإن عقلها مشتت إلى حد ما، ولكن ربما كانت لديها معلومات عن عشاق للفتاة، أو ربما اتفق لها أن رأت الفتاة مع رجل مجهول.. آه ها هى الأخت الصغرى. أنثيا برادبورى.. أنها تحمل حزمة كبيرة. ولعلها فى طريقها إلى مكتب البريد فى ركن الشارع.

فقال وانستيد: يخيل إلى أنها قليلة الاهتمام بمظهرها.. انظرى كيف يتطاير شعرها الجميل فى الهواء!!

مربعات سوداء وحمراء

عادت مسز ساندبورن عندما كان أعضاء الرحلة يتناولون طعام الغداء، ولم تكن أنباؤها مطمئنة..

إذ قالت أن اليزابيث تمبل لا تزال فى غيبوبة.. ولا يمكن نقلها قبل بضعة أيام.

ثم تناولت المسائل العملية، فقالت أنها أعدت جدولاً لمواعيد القطارات لأولئك الذين يرغبون فى العودة إلى لندن، كما وضعت برنامجًا معدلاً للرحلة التى قد تستأنف بعد يوم أو يومين.

وانتحى وانستيد بمس ماريل ناحية وقال لها:

- إذا لم يكن فى نيتك الاستراحة بعد ظهر اليوم فسآمر بك بعد ساعة لاصطحابك إلى احدى الكنائس الأثرية

* * *

وفى الوقت المحدد جاء وانستيد فى سيارة استأجرها، وجلست مس ماريل بجواره فى المقعد الأمامى.

قال لها :

- لقد خطر لى أنه ربما يهمك زيارة هذه الكنيسة بالذات. وليس ثمة ما يمنعنا عن الاستمتاع بالمناظر الريفية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

فقالت مس ماربل:

- هذا كرم منك.. ولكن يخيل إلى أن كل متعة فى هذه الظروف تبدو شيئا قاسيا.. ولا شك أنك تفهم ما أعنى.

- يا سيدتى العزيزة. إن مس تمبل لم تكن صديقتك فى يوم ما. وهذه الحوادث المحزنة تقع كل يوم.

وعندما ابتعدت السيارة عن القرية، التفت وانستيدت إلى مس ماربل وقال:

- أننا لن نذهب إلى أية كنيسة.

- هذا ما توقعته.. إلى أين سنذهب إذن؟

- إلى مستشفى فى (كاريستاوتون).

- المستشفى الذى نقلت إليه مس تمبل؟

- نعم.. لقد حملت إلى مسز ساندبورن رسالة من ادارة المستشفى.. فاتصلت بالمستشفى تليفونيا منذ قليل.

- هل مس تمبل أحسن حالاً؟

- كلا.. إن شفاءها أمر مشكوك فيه.. ولكن ليس هناك ما يمكن عمله أنها فى غيبوبة لا تفيق منها إلا لحظات.

- ولماذا تذهب بى إليها؟ إننى لست صديقتها. وقد قابلتها لأول

مرة فى هذه الرحلة.

- أعلم ذلك. إننى أذهب بك إليها. لأنها ذكرت اسمك فى أحدى لحظات يقظتها. وطلبت مقابلتك.

- ترى لماذا وهى تعلم أننى لن أستطيع أن أفيدها بشىء؟

ثم هزت رأسها أسفًا واستطردت قائلة:

- أنها سيدة عظيمة. كانت ناظرة لمدرسة (فالوفيلد) وكانت لها مكانة بارزة فى الدوائر التربوية. وهى شخصيًا واسعة الثقافة ولديها دكتوراه فى الرياضيات وكانت شديدة الاهتمام بالمسائل التربوية ولا تدخر وسعًا فى تشجيع تلميذاتها فيما يتفوقن فيه من فروع العلم والمعرفة. وأن لمن القسوة أن تذهب ضحية حادث سخيف كهذا. إن هذا الحادث.

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

- لعلك تفضل ألا نناقشه؟

- بل من الأفضل أن نناقشه؟ لقد سقط حجر من فوق التل وذلك أمر مألوف حدث مرارًامن قبل. ولكن بعضهم تحدث إلى فى هذا الموضوع.

- فى موضوع الحادث؟ من الذى تحدث إليك؟

الشابان جوانا كروفور واملين برايس.

- ماذا قالا لك؟

- قالت جوانا أنها رأت فوق التل شخصا يزحزح الحجر بكل قوته

ليدحرجه على سفح التل، وأنها لا تستطيع أن تجزم هل كان هذا الشخص رجلاً أم امرأة. ولكنها واثقة من أنها رأت الحجر يهتز ثم ينفصل من مكانه ويهوى على سفح التل. فى الوقت الذى كانت فيه مس تمبل تسير فى الممر المألوف المؤدى إلى القمة. فأصابها الحجر وواصل انحداره بكل قوة.

وتعتقد الفتاة أنه لو لم يتعمد إنسان اصابة مس تمبل بذلك الحجر لما نجح.

– وهل كان ذلك الشخص رجلاً أم امرأة؟

– من سوء الحظ أن الفتاة لم تستطع أن تقطع فى هذا الأمر برأى. قالت انه كان يرتدى سروالاً أزرق وقميصًا من الصوف منقوشًا بمربعات حمراء وسوداء زاهية اللون. ثم اختفى عقب ذلك مباشرة.

– وهل تعتقد الفتاة أو هل تعتقد أنت أن الحادث دبر عمدًا لقتل مس تمبل؟

– إن الفتاة تميل إلى هذا الاعتقاد ويؤيدها الشاب.

– أليست لديك فكرة عمن يكون الفاعل؟

– كلا. اطلاقًا. ربما يكون أحد أعضاء الرحلة. أو شخصًا مجهولاً علم بموعد وصول الرحلة واختار هذا المكان للاعتداء على حياة أحد أعضائها. وربما يكون أحد هواة العنف حبا للعنف فى ذاته. على أن السؤال الذى يجب أن نطرحه هو: من الذى يود قتل ناظرة مدرسة متقاعدة؟

ربما تستطيع مس تمبل نفسها الاجابة على هذا السؤال. إذ يحتمل

أنها رأت الفاعل وعرفته .. أو ربما تعرف شخصًا معينًا يحقد عليها لسبب ما..

إن ناظرة المدرسة تتصل بتلميذاتها وبعائلاتهن. وتعرف عن الفتيات ومغامراتهن أكثر مما يعرف ذووهن.. وقد أصبحت المغامرات العاطفية شيئًا مألوفًا فى حياة الطالبات فى هذا الزمن.

يقولون: إن البنات يتضجن فى سن مبكرة، وهذا صحيح من وجهة النظر الفسيولوجية. ولكن النضج بمعناه الصحيح لا يحدث إلا فى وقت متأخر.

إن طفولة البنات تمتد وقتًا طويلاً. فتظل البنت طفلة بالثياب التى ترتديها. ويشعرها الذى يتطاير حولها، وبالمينى جيب الذى يرمز لعبادة الطفولة.. أنها لا تحب أن تكون مراهقة. ولا أن تضطلع بمسئوليات المراهقات. ولكنها تحب- كأى طفل- أن يظن الناس أنها قد شبت عن الطوق. وأن من حقها أن تمارس حريتها وأن تفعل ما يفعله الكبار. ومن هنا تحدث المآسى.

- هل تشير إلى مأساة بعينها؟

- كلا. إنما أفكر فى كافة الاحتمالات. ولكنى لا أظن أن لمس تعبل عدوًا من قسوة القلب بحيث يترقب مثل هذه الفرصة لقتلها.. ولعل أقرب الاحتمالات إلى الصواب هو..

وصمت لحظة ثم قال:

- حاولى أن تقرأى ما يدور بخلدى...

- أظن أننى أعرف ما يدور بخلدك. أنت تظن أن مس تعبل ربما

تعلم أمورًا خطيرة لا يريد القاتل أن تعرف أو تذاع؟

- ذلك ما خطر لى.

- وهذا معناه أن بين أعضاء الرحلة شخصًا تعرف على مس تمبل، ولم تتعرف هى عليه بسبب مضى السنين، وأن هذا الشخص أراد أن يتخلص منها لأنها تعرف من أمره مالا يود أن يعرفه الآخرون.

وإذن يجب أن نبحث عن الفاعل بين أعضاء الرحلة.. فهل قلت أن قميصه كان منقوشًا بمربعات سوداء وحمراء؟

- نعم.

- أنهما لونان يلفتان النظر. ولذلك تذكرتهما جوانا. أصغ إلى. أنك عندما تصف شخصًا رأيته من بعيد. فإن أول شىء تصفه هو ثيابه.. لا و جهه أو مشيته. وقد حرص الفاعل على ارتداء قيمص ذى ألوان صارخة تلفت نظر من يراها.. والغرض من ذلك أنه متى خلع القميص وتخلص منه بأن أرسله فى طرد بريدى إلى مكان يبعد مئات الأميال أو ألقى به فى صندوق القمامة بأحدى المدن الكبرى أو أحرقه. فإنه يكون بذلك قد تخلص من الدليل وأبعد عنه الشبهات.

- هذا رأى سليم.

- والفاعل غالبًا رجل لا امرأة. فقد ألقى الحجر- إذا كان قد ألقى عمدًا- بدقة لا يستطيعها إلا رجل.

وثمة ملاحظة أخرى: هى أن مدرسة فالوفيلد حيث كانت مس تمبل، تقع على بعد ستة عشر ميلاً من هنا. وذلك يوسع دائرة الاحتمالات:

- وبهذه المناسبة.. هل تعرف هذه المنطقة جيدًا يا مستر وانستيد؟

- لست أعرف عنها أكثر مما سمعت وأنا أتقصى الحقائق فى اليومين الأخيرين. قيل لى أنه كانت فى احدى الفترات مسرحًا لسلسلة من الجرائم. ولا عجب فى ذلك. فكل منطقة فى انجلترا قد اجتاحتها فى وقت ما موجة من الجرائم. كذلك قيل لى أن فتاتين اختفيتا من هذه القرية فى وقت واحد تقريبًا.. احداهما هى التى وجدت جثتها بعد ستة شهور من اختفائها واتهم مايكل رافيل بقتلها..

- والثانية؟

- والثانية تدعى نورا برود. وكانت لها صلات بكثير من الفتيان ولم يكن سلوكها فوق الشبهات. ولم يعثر على جثتها.. ولكن من المؤكد أن الجثة ستظهر يوما ما. أننى أعرف قضايا ظهرت فيها الجثة بعد عشرين عامًا. ها قد وصلنا، هو ذا مستشفى (كاريستاون).

وتبعت مس ماربل الأستاذ وانستيد إلى داخل المستشفى، ويبدو أن قدوم وانستيد كان متوقعًا، فقد ذهبوا به على الفور إلى غرفة صغيرة يتصدرها مكتب تجلس إليه امرأة فى نحو الأربعين من عمرها يبدو أنها رئيسة الممرضات.

ونهضت المرأة لاستقبال الزائريْن وهى تقول:

- الأستاذ وانستيد!! والسيدة..

فقال وانستيد:

- هذه مس جين ماربل التى تحدثت عنها تليفونيًا إلى مس باركر الممرضة.

- آه.. إن مس باركر تنتظر قدومكما.

- وكيف حال مس تمبل؟

- يؤسفنى أن أقول أنه لم يطرأ عليها أى تحسن سأذهب بكما الآن إلى مس باركر.

كانت مس باركر امرأة طويلة نحيفة الجسم ذات صوت خافت حاسم. وعينين سوداوين تنظران إليك بسرعة ثم تنصرفان عنك بطريقة تشعر بأن صاحبتهما قد ألمت بك تمامًا وقومتك فى هذه اللحظة القصيرة وأصدرت حكمها عليك.

قال لها وانستيد:

- إننى لا أعرف الترتيبات التى استقر عليها رأيك.

فأجابت: يحسن بى أن أوضحها لمس ماريل.. مس تمبل لا تزال فى غيبوبة تامة تتخللها لحظات قصيرة من اليقظة والوعى. وفى هذه اللحظات تفيق على نفسها وتتعرف على ما حولها، وتنطق ببضع كلمات. ولكن لا توجد هناك أية وسيلة لإيقاظها. وكل ما نستطيعه هو أن نتذرع بالصبر وننتظر.

وأنا أتوقع أن يكون الأستاذ وانستيد قد أنبأك بأنها رددت اسمك فى أحدى لحظات يقظتها وقالت: مس جين ماريل.. أريد أن أتحدث إليها.

ثم راحت فى غيبوبة.

وقد نصح الطبيب بالاتصال بالقائمين على الرحلة وجاء الأستاذ وانستيد فأوضحنا له الموقف، ووعد بإحضارك.

أن كل ما نرجوه منك الآن هو أن تجلسى فى الغرفة الخاصة التى ترقد فيها مس تمبل، وأن تسجلى كل كلمة تنطق بها متى عادت إلى وعيها .

وحيث أنك لست من أقاربها ولن يزعجك النبأ، فإننى أقول لك فى صراحة ومع الأسف أن الطبيب يعتقد أن حالة مس تمبل تتدهور لحظة بعد أخرى. وأنها قد تموت قبل أن تسترد وعيها . وليس فى مقدورنا عمل شىء لإزالة الارتجاج، ومن المهم أن يسمع أحد ما سوف تقول. ويرى الطبيب أن من الأفضل ألا ترى المريضة أشخاصًا كثيرين حولها إذا استيقظت، حتى لا تتشتت أفكارها . ولذلك لن يكون بالغرفة معك سوى ممرضة سوف تتوارى خلف حاجز بحيث لا تراها المريضة. ورجل شرطة مهمته أن يسجل ما يسمع، وسوف يتوارى كذلك عن عينى المريضة..

وبذلك لن ترى المريضة عندما تفتح عينيها سوى الشخص الوحيد الذى تنتظره. فهل يضايقك كثيرًا أن تقومى بهذه المهمة؟

فأجابت مس ماريل:

– كلا .. بتاتًا .. ثم إن لى ذاكرة قوية تستوعب ما أسمع، حتى ولو كان مجرد همس ولن أكون بحاجة إلى ورق وقلم.

فومضت فى عينى مس باركر نظرة تنم عن الارتياح وقالت:

– أنا واثقة من أننا نستطيع الاعتماد عليك. أما الأستاذ وانستيد فإنه سينتظر بقاعة الاستقبال لكى نستعين به إذا قضت الضرورة.

والآن.. تعالى معى يا مس ماريل.

وسارت معها مس ماريل فى دهليز طويل.. ينتهى بغرفة صغيرة.

وعلى فراش فى هذه الغرفة الخافتة الضوء كانت ترقد اليزابيث تمبل.

كانت أشبه بتمثال. ولكن الناظر إليها لا يشعر بأنها نائمة.

كانت أنفاسها القلقة تتردد فى شهقات خافتة. فانحنت مس باركر فوقها لتفحصها. ثم أشارت إلى مقعد بجوار الفراش، فجلست عليه مس ماربل.

وعندما همت مس باركر بالانصراف، خرج من وراء حاجز هناك شاب فى يده قلم ودفتر مذكرات. فقالت له مس باركر فى همس:

- هذه أوامر الطبيب.

ثم التفتت إلى الممرضة التى كانت تجلس خلف الحاجز وقالت:

- اطلبينى إذا لزم الأمر وضعى نفسك تحت تصرف مس ماربل:

وكان جو الغرفة دافئًا فخلعت مس ماربل معطفها ودفعت به إلى الممرضة. وجلست تنظر إلى اليزابيث تمبل ولا تتمالك من الإعجاب بقسمات وجهها وارتفاع جبينها وجمال شعرها..

كانت امرأة وسيمة، وشخصية ممتازة، ومن بواعث الأسف حقًا أن تغيب عن هذه الدنيا.

ومر الوقت..

عشر دقائق.. عشرون دقيقة. نصف ساعة. خمس وثلاثون دقيقة.

ثم فجأة.. وعلى غير انتظار.. انبعث صوت خافت ولكنه واضح.. صوت خلو من الرنين الذى ألفته مس ماربل.

قال الصوت:

- مس ماربل.

وفتحت اليزابيث تمبل عينيها.. ونظرت فى غير انفعال أو دهشة إلى وجه المرأة التى تجلس أمامها. ثم قالت:

- هل أنت جين ماربل؟

- نعم.. أنا جين ماربل.

- إن هنرى حدثنى عنك كثيرًا.

- هنرى؟

- هنرى كليثرنج. إنه من أقدم أصدقائى وأكرمهم على.

- هنرى كلثرنج. أنه أيضًا صديقى.

وعادت بها الذاكرة إلى سنوات مضت، حين عرفت السير هنرى كليثرنج- وتذكرت خدماته لها، وخدماتها له.. كان حقًا من أخلص الأصدقاء.

قالت اليزابيث تمبل: لقد تذكرت اسمك حين قرأت أسماء أعضاء الرحلة.. إن فى استطاعتك أن تفعلى شيئًا.. لو كان هنرى هنا لقال ذلك.. نعم.. أن بوسعك أن تبحثى وأن تفعلى شيئًا.. ذلك مهم.. ومهم جدًا. رغم مرور سنوات عديدة..

وخفت صوتها قليلاً وأغمضت عينيها، فخرجت الممرضة من مخبئها، وقربت كوبًا من شفتى مس تمبل، فارتشفت هذه جرعة.. ثم أشاحت بوجهها، فوضعت الممرضة الكوب وعادت إلى مقعدها.

قالت مس ماربل:

- سأبذل قصارى جهدى وأعمل ما أستطيع عمله.

- حسنًا.. حسنًا..

واغمضت عينيها مرة أخرى، وبدت كأنها نائمة. أو فى غيبوبة..

ولكنها عادت ففتحت عينيها فجأة وقالت:

- من هى؟ ذلك ما يجب معرفته. هل فهمت ماذا أعنى؟

- أظن ذلك. أنك تعنين فتاة ماتت. فتاة تدعى نورا برود؟

فقطبت اليزابيث تمبل جبينها وقالت:

- كلا.. كلا.. كلا.. الفتاة الأخرى. فيريتى هانت

وصمتت لحظة ثم قالت:

- جين ماريل.. أنك تقدمت فى السن عما كنت عندما حدثنى هنرى عنك. ولكن مازال فى مقدورك أن تبحثى.. أليس كذلك؟

وارتفع صوتها وزاد الحاحا وهى تقول:

- تكلمى.. قولى أن ذلك فى مقدورك.. أن الوقت ضيق.. وأنا أشعر بذلك.. أبحثى.. ربما تتعرضين للخطر ولكنك ستنجحين.

- سأبحث.. وليشد الله أزرى.

كان ذلك عهدًا وقسمًا..

فتنهدت اليزابيث تمبل بارتياح، وأغمضت عينيها ثم فتحتهما، وارتسم على شفتيها شبه ابتسامة..

همست بعد قليل:

- تلك الصخرة التى انحدرت من على.. صخرة الموت.

- من الذى ألقاها؟

- لا أعلم. ذلك لا أهمية له. المهم هو فيريتى. أبحثى عن الحقيقة.

ولاحظت مس ماربل استرخاء جسدها على الفراش، وسمعتها تهمس بصوت خافت: وداعًا. أبذلى قصارى جهدك.

وأغمضت مس تمبل عينيها، فهرعت إليها الممرضة وجست نبضها. ثم ابتعدت وأشارت إلى مس ماربل أن تتبعها إلى الخارج فأطاعت. وهناك قالت الممرضة:

- أنها بذلت مجهودًا كبيرًا.. ولن تعود إلى وعيها قبل وقت طويل.

وقد لا تعود اطلاقًا.. أرجو أن تكونى قد عرفت منها شيئًا..

- لا أعتقد ذلك..

وسألها وانستيد وهما فى طريقهما إلى السيارة:

- هل قالت لك شيئًا؟

- أنها ذكرت اسما.. (فيرتتى).. هل هو اسم الفتاة؟

- نعم.. فيريتى هانت.

وماتت اليزابيث تمبل بعد ساعة ونصف الساعة دون أن تفيق من غيبوبتها.



فيريتـــى

قالت مس ماربل فجأة، وبصوت واضح، وهى تعمل بابرتها: فيريتى!!

كانت اليزابيث تمبل قد ماتت فى هدوء فى الليلة السابقة، وتحددت الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى لتحقيق حادث مصرعها، ووافق أعضاء الرحلة على حضور جلسة التحقيق، وقرر بعضهم البقاء للاشتراك فى القداس الذى سيقام فى الكنيسة.

وذهبت لافينيا إلى الفندق والحت على مس ماربل لكى تعود للإقامة فى البيت القديم إلى أن يحين موعد الرحيل.

قالت لها: إن اقامتك معنا ستجنبك مضايقات رجال الصحافة..

ووافقت مس ماربل، خاصة وأن أكثر زملاءها عدلوا عن مواصلة الرحلة وقرروا العودة إلى لندن.

وفيما كانت تعمل بابرتها فى قاعة الاستقبال بعد أن تناولت القهوة مع الشقيقات الثلاث. تذكرت آخر شىء نطقت به اليزابيث تمبل قبل موتها والقت به فجأة وسط السكون كما تلقى بحجر فى بحيرة هادئة. ونظرت حولها بسرعة لترى رد الفعل.

كانت لافينيا تقرأ كتابًا فقفلته على الفور ونظرت إلى مس ماربل فى دهشة.

ورفعت كلوتيلد رأسها بغتة.. وانحنت إلى الامام ونظرت.. لا إلى مس ماربل وإنما إلى النافذة..

ورغم أن مس ماربل أسدلت أهدابها حتى تبدو وكأنها لا ترى ما حولها.. إلا أنها لاحظت أن الدموع ملات عينى كلوتيلد وسالت على خديها.. وأن كلوتيلد لم تحرك ساكنا لمسحها، ولم تنطق بكلمة.

أما انثيا فإن رد الفعل بالنسبة إليها سريعا وواضحًا وينم عن السرور والارتياح.

هتفت قائلة: فيريتى؟ هل قلت فيرتيى؟ هل كنت تعرفينها؟ هل تعنين فيريتى هانت؟

فقالت مس ماربل:

- إننى لم أعرف قط أحدا بهذا الاسم.

وتركت ابرتها وأجالت البصر حولها وارتسمت فى عينيها نظرة اعتذار كمن يدرك أنه ارتكب غلطة جسيمة لا يعرف كنهها..

قالت:

- إننى آسفة.. هل قلت شيئًا لم يجب أن أقوله؟

فقالت لافينيا:

- كلا.. كلا.. إنما أتفق أننا نعرف هذا الاسم.

فقالت مس ماربل معتذرة:

- إنه مر بخاطرى.. وكنت قد سمعته أمس من مس ماريل.. كانت فى غيبوبة فذهب بى الأستاذ وانستيد إليها فى المستشفى ظنا منه أنى أستطيع أن أرفع من روحها المعنوية.. ليس لأننى كنت صديقتها فى أى وقت.. وإنما لأننا كنا نجلس معًا ونتجاذب أطراف الحديث خلال الرحلة.. ولكنى للأسف لم أستطع أن أفيدها بشىء.. فقد جلست بجوار فراشها وانتظرت.. وسمعتها تنطق بكلمة أو كلمتين لا معنى لهما. وأخيرًا فتحت عينيها ونظرت إلى طويلاً. ولعلها ظنتنى شخصا آخر ثم نطقت باسم (فيريتى).. وقد رسبت هذه الكلمة فى ذهنى خاصة وأنها أسلمت الروح بعد ذلك. فهل لكلمة (فيريتى) معنى آخر غير (الحقيقة)؟

قالت وراحت تنقل بصرها بين لافينيا وكلوتيلد وأنثيا فقالت لافينيا:

- إنه اسم فتاة كنا نعرفها.. ولذلك بهتنا.

وقالت انثيا:

- سيما وأنها ماتت موتة مخيفة.

فقالت كلوتيلد:

- أنثيا.. لا ضرورة لهذه التفصيلات.

فقالت أنثيا وهى تنظر إلى مس ماربل:

- أنها تفصيلات يعرفها الجميع.. وكنت أظنك تعرفينها بحكم صلاتك بمستر رافيل.. أنه كتب إلينا عنك ففهمت أنك لابد تعرفينه.. وأنه ربما روى لك القصة كلها.

فقالت مس ماربل:

- أنا آسفة.. إذ لم أفهم شيئًا مما تقولين.

فقالت أنثيا:

- لقد وجدت جثتها فى حفرة.

كان من الواضح أن أنثيا متى انطلقت، فلا أحد يستطيع اسكاتها..

ولاحظت مس ماربل أن كلام أنثيا يشد أعصاب كلوتيلد التى ما لبثت أن أخرجت منديلها وجففت دموعها ثم اعتدلت فى جلستها وقالت وفى عينيها حزن عميق:

- أن فيريتى هو اسم فتاة كانت تقيم معنا وكنت أحبها من كل قلبى.

فقالت لافينيا:

- وهى أيضا كانت تحبك.

قالت كلوتيلد:

- كان أبواها صديقى، وقد قتلا فى حادث طائرة.

فقالت لافينيا:

- وكانت تتلقى العلم فى مدرسة (فالوفيلد) ولعل ذلك هو السبب فى أن مس تمبل تذكرتها.

فهتفت مس ماربل:

- آه.. فهمت.. كانت مس تمبل ناظرة تلك المدرسة.. أليس كذلك؟

فقالت كلوتيلد: نعم.. وكانت فيريتى من تلميذاتها. فلما مات أبواها جاءت للإقامة معنا هنا ريثما تتخذ قرارًا بشأن مستقبلها.. كانت وقتئذ فى الثامنة عشرة من عمرها.. فتاة حلوة.. دمثة الخلق، ممتلئة عطفًا وحنانًا.. وقد فكرت فى أن تشتغل بالتمريض، ولكنها كانت على جانب عظيم من الذكاء فأصرت مس تمبل على ضرورة دخولها الجامعة.. وكانت تستعد لذلك حين وقع الحادث الرهيب.

قالت ذلك وأشاحت بوجهها وأردفت:

– حبذا لو تركنا الحديث فى هذا الموضوع الآن..

فهتفت مس ماربل:

– طبعًا.. طبعًا.. كم أنا آسفة على أننى أثرت هذه الذكريات المؤلمة.. الواقع أننى لم أكن أعلم.. أعنى أنه لم يبلغنى...

وارتج عليها القول فلاذت بالصمت.

ولكنها علمت المزيد من المساء، فقد جاءتها لافينيا وهى تستبدل ثيابها استعدادًا للذهاب إلى الفندق وقالت لها:

– لقد خطر لى أن أوضح لك موضوع فيريتى هانت.. وطبيعى أنك كنت تجهلين مبلغ حب كلوتيلد للفتاة، وهول الصدمة التى أصابتها عقب مصرعها. أننا نتجنب الحديث عن الفتاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وستدركين السبب متى أوضحت لك الحقائق.

يبدو أن الفتاة اتصلت دون علمنا بشاب غير مرغوب فيه، ظهر فيما بعد أنه شخص خطر، له سجل حافل.. وكان هذا الشاب قد جاء لزيارتنا. لأننا نعرف أباه جيدًا.

وصمتت لافينيا قليلاً ثم قالت:

- أظن أنه يحسن بى أن أذكر لك الحقيقة كلها.. كان هذا الشاب فى الواقع هو ابن مستر رافيل.. واسمه مايكل.

- أحقًا؟ لقد سمعت فعلاً أن لمستر رافيل ابنًا سيئ السلوك.

- بل هو أكثر من ذلك.. إنه لص ومزور وذئب أعراض، وقد حوكم أكثر من مرة بتهمة الاعتداء على الفتيات.

كانت أمه صديقتنا ولعل من حسن حظها أنها ماتت فى مقتبل العمر فلم تر الهوة التى تردى فيها ابنها..

وقد فعل مستر رافيل ما يستطيع من أجل ابنه، فأوجد له أعمالا تناسبه. ودفع الغرامات التى حكم عليه بها. واستخدم أبرع المحامين للدفاع عنه فى المحاكم..

وذات يوم، خرجت فريتى لزيارة أحدى صديقاتها ولم تعد.

أبلغنا البوليس، فبحثوا عنها فى كل مكان ولكنهم لم يقعوا لها على أثر..

أعلنا فى الصحف عن فقدها.. وأذاع البوليس نشرة بأوصافها.

وكان رجال البوليس قد بدأوا يراقبون مايكل..لاشتباههم فى أن له يدا فى سلسلة الجرائم التى حدثت فى المنطقة تلك الفترة.. ولكنهم لم يتوصلوا إلى دليل حاسم يدينه..

وراجت فى هذه الأثناء إشاعة بأن فيريتى شوهدت مع شاب يشبه مايكل.. وفى سيارة كسيارته.. ولكن لم يقم دليل على صدق هذه

الاشاعة.. إلى أن وجدت جثة الفتاة بعد ستة شهور من اختفائها فى بقمة مهجورة على بعد ثلاثين ميلاً.

وذهبت كلوتيلد للتعرف عليها، وعرفتها رغم التشويه الذى أصاب وجهها.. عرفتها من علامات فى جسدها، ومن ثيابها ومن محتويات حقيبتها.. وكانت صدمة قاسية لم تبرأ منها أبدًا..

وكانت مس تمبل أيضًا مشغوفة بالفتاة.. ولابد أنها تذكرتا حين رددت اسمها وهى تلفظ أنفاسها.



التحقيـق

سارت مس ماربل ببطء فى طريقها
إلى المحكمة لمتابعة جلسة التحقيق
فى حادث مصرع اليزابث تمبل.

نظرت فى ساعتها ووجدت أنها تستطيع أن تقضى نحو عشرين دقيقة فى شهود معروضات المتاجر بالشارع الرئيسى قبل أن يحين موعد انعقاد المحكمة. فدخلت متجرًا للخيوط والملابس الصوفية. وطلبت من صاحبته وهى سيدة عجوز لفافة من الخيوط ذات اللون الوردى، تضارع تلك التى كانت تحيكها، فعرضت عليها السيدة بضعة نماذج وجدت بينها مس ماربل بغيتها..

ولاحظت صاحبة المتجر أن العميلة غريبة عن المنطقة، وأنها لابد وأن تكون من أعضاء الرحلة، وكان من الطبيعى أثناء العرض والبحث والمقارنة بين ألوان الصوف أن يدور الحديث حول الموضوع الذى يدور على ألسنة الناس فى القرية، وهو موضوع الحادث المؤلم الذى وقع عند سفح التل، وفهمت مس ماربل مما ذكرته صاحبة المتجر أنه ليس الحادث الأول من نوعه، وأن ثلاثة أو أربعة أشخاص ذهبوا من قبل ضحية انهيار الصخور من فوق التل. وأن الناس فى القرية يعزون هذا

الحوادث إلى الأمطار والسيول التى تخلى ما بين الصخور من رمال فتزعزعها وتضعف تماسكها بعضها ببعض فتنهار.

وفى نهاية الحديث، دفعت مس ماربل ثمن الخيوط التى ابتاعتها وتظاهرت بالانصراف ولكنها ما أن بلغت الباب حتى عادت أدراجها كمن تذكر أمرًا وقالت: هل أجد عندك قميصًا من الصوف لابن أخى؟ أعنى قميصًا ذا ياقة مرتفعة وألوان صارخة من النوع الذى يرتديه الشبان فى هذه الأيام؟ وحبذا لو كانت نقوشه على شكل مربعات حمراء وسوداء..

فعرضت عليها صاحبة المتجر مجموعة من القمصان المتعددة الألوان وقالت أنه لا يوجد لديها ولم يرد إليها قط أقمصة ذات مربعات حمراء وسوداء.

وراحت مس ماربل تفحص الأقمصة ثم قالت كأنما عرضًا:

– بمناسبة حادث التل.. يخيل إلى أن هذه المنطقة منكوبة بالحوادث المفجعة، فقد قرأت مرة عن سلسلة من جرائم القتل ذهب ضحيتها عدد من الفتيات..

فهتفت صاحبة المتجر: آه.. هذا صحيح. كان ذلك منذ بضعة أعوام، وقد قبضوا على المجرم، وهو شاب وسيم ظريف كان يبدو فوق الشبهات، ثم ثبت أن له سجلاً حافلاً رغم أنه ينتمى إلى أسرة كريمة، وأن أباه رجل واسع الثراء.

وقد حامت الشبهات فى البداية حول عدد من الشبان، ثم أطلق سراحهم وأخيرًا عثروا على جثة فتاة ظنوا أنها نورا برود، التى

اشتهرت بمغامراتها مع الشبان.

- ألم تكن جثتها؟

- كلا. كانت جثة فتاة أخرى كانت اختفت فى نفس الفترة..

- ألم يعثروا على جثة نورا برود؟

- كلا.. ربما يعثرو عليها يوما ما، ولكن الرأى السائد هو أنها ألقيت فى النهر.

- والفتاة الأخرى؟ أعنى الفتاة التى وجدت جثتها؟

- الفتاة الأخرى..؟ .. آه.. نعم.. أن اسمها لا يحضرنى الآن.. ولكنها كانت تقيم فى البيت القديم منذ مصرع أبويها فى حادث طائرة..

- هل كان لها أقارب فى ذلك البيت؟

- لا أعلم.. ولكن يبدو أن مس كلوتيلد كانت صديقة لأمها.. وكانت كلوتيلد مدلهة بحب الفتاة. وقد تحطم قلبها عندما اختفت.. بخلاف مس أنثيا..

- مس أنثيا هى الأخت الصغرى فيما أعتقد؟

- نعم.. وهى فتاة غريبة الأطوار.. تتحدث إلى نفسها وتحرك رأسها بطريقة غريبة.. والأطفال يخافونها ويفرون من طريقها.

- ومس كلوتيلد.. أهى غريبة الأطوار أيضًا؟

- كلا.. أنها ذكية وبارعة.. وتعرف اللاتينية واليونانية.. وكانت تحب تلك الفتاة وتعاملها كابنتها.. إلى أن جاء ذلك الشيطان المدعو

ماذا كان اسمه..؟ آه.. كان اسمه مايكل فيما أعتقد.. ولكنى لا أظن أن مس كلوتيلد كانت تعلم أن الفتاة حامل.

- وهل كنت أنت تعلمين؟

- إن للحمل علامات لا تخطئها العين..

وودعتها مس ماربل وانصرفت.. وعرجت على مكتب البريد حيث ابتاعت بعض الطوابع.

وكان المكتب خلوا من العملاء، فقالت لموظفة البريد:

- هل يضايقك أن أسألك معروفا؟ يبدو أننى أصبحت فى الفترة الأخيرة كثيرة الخطأ والنسيان.. بسبب السن طبعًا.. لقد أرسلت طردًا يحتوى على بعض الملابس الصوفية إلى أحدى المؤسسات الخيرية.. ولكنى اكتشفت صباح اليوم أننى أخطات العنوان.. فهل لديك قائمة بعناوين الطرود التى ترسل من هذا المكتب؟ إن العنوان الذى أردت إرسال الطرد إليه هو (الجمعية الخيرية لعمال أحواض السفن).

فنظرت موظفة البريد إلى محدثتها طويلاً، وارتسمت على شفتيها ابتسامة عطف واشفاق.

قالت: هل أحضرت ذلك الطرد بنفسك؟

- كلا.. أننى أقيم فى البيت القديم. وقد تفضلت احدى الشقيقات وأظنها مس كلوتيلد- باحضاره.

- كان ذلك يوم الثلاثاء فيما أعتقد أن التى أحضرت الطرد هى مس أنثيا.. الأخت الصغرى.

– نعم.. نعم.. أظن ذلك.

فقالت الموظفة وهى تبحث فى دفتر أمامها:

– كان طردًا متوسط الحجم فيما أذكر.. أما العنوان الذى أرسل إليه فهو (جمعية ايستهام لمساعدة النساء والأطفال).

– ما أشد غبائى.. لقد خلطت بين الجمعيتين. هل أستطيع أن أصحح العنوان؟

– ذلك مستحيل. فقد أرسل الطرد فعلاً.

– لا بأس.. سأكتب إلى الجمعية لتحويله إلى العنوان المقصود. شكرًا جزيلاً لك.

وغادرت مس ماربل مكتب البريد لتجد نفسها وجها لوجه أمام أملين برايس وجوانا كروفورد. ولاحظت أن الفتاة شديدة الامتقاع.

قالت جوانا: أننى خائفة.. فقط طلبت للأدلاء بأقوالى. ولا أعرف الأسئلة التى سيلقونها على.. إننى ذكرت لرجل الشرطة كل ما أعرفه.

فقال أملى برايس:

– لا تنزعجى يا جوانا.. أنه التحقيق الابتدائى.. ويتولاه عادة أحد الأطباء.. سيلقى عليكن بضعة من الأسئلة وسترووين له ما رأيت.

– ولكنك أيضا رأيت ما رأيته.

– نعم.. أننى رأيت شخصًا فوق التل.

– لقد ذهبوا إلى الفندق وفتشوا أمتعتنا.

فقالت مس ماربل:

- لابد أنهم كانوا يبحثون عن قميص ذى مربعات سوداء وحمراء. فلا تنزعجى.. إذ لو كان لديك مثل هذا القميص لما تحدثت عنه.

فقال املين برايس:

- أنا شخصيا لا أستطيع تمييز الألوان جيدًا.

فقالت جوانا: أنهم لم يجدوا بين أمتعة الركاب قميصًا بهذه الصفة.. وهل رأيت أنت أحدهم يرتدى مثل هذا القميص؟

- لا أظن.. ثم أننى ما كنت لأتبينه لو أننى رأيته.. فأنا لا أستطيع التمييز بين الأخضر والأحمر..

فقالت جوانا: آه.. لقد نسيت أنك مصاب بعمى الألوان.

كان الدكتور ستوكس- الذى تولى التحقيق- رجلا فى الحلقة الرابعة من عمره قد خط الشيب شعره..

أستمع أولا إلى تقرير رجال الشرطة.. ثم إلى التقرير الطبى عن الاصابة وارتجاج المخ.. اللذين نجمت عنهما الوفاة.

وأدلت مسز ساندبورن بشهادتها عن الرحلة والحادث فقالت أن اليزابيث تمبل كانت موفورة النشاط رغم بلوغها الستين.. وأنها كانت تتقدم زملاءها بمسافة طويلة فى الممر المألوف المؤدى إلى القمة عندما وقع الحادث.

هل تعتقدين أنه حادث عرضى وقع بالقضاء والقدر؟

- نعم.. أنه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

ثم جاء دور جوانا كروفورد فذكرت اسمها وسنها، وسألها الدكتور ستوكس: هل كنت تسيرين مع أعضاء الرحلة؟

– كلا.. كنت أسلك طريقًا جانبيًا غير الممر المألوف.

– هل كان معك أحد..؟

– نعم.. مستر املين برايس.

– هل سرتما بعيدًا عن الاخرين؟

– نعم.. أغلب الوقت.

– وهل رأيت مس تمبل؟

– نعم.. كانت تسبق الآخرين ورأيتها تنحرف فى احدى الزوايا.. وتختفى عن بصرى تمامًا..

– وهل رأيت أحدًا فوق قمة التل؟

– نعم.. رأيت شخصًا منحنيًا خلف صخرة ضخمة عند الحافة وهو يحاول زحزحتها من مكانها.

– هل كان الشخص رجلاً أم امرأة؟

– لا أستطيع أن أجزم.. ربما كان رجلا.. وربما كان امرأة. ولكن من المؤكد أنه كان يرتدى قميصًا من الصوف ذا ياقة مرتفعة.

– وماذا كان لون القميص؟

– كان منقوشا بمربعات سوداء وحمراء زاهية اللون. وكان الشخص يضع على رأسه بيريها يتدلى من تحته شعر طويل قد يكون شعر رجل

أو امرأة.

فقال الدكتور ستوكس: من المؤكد أن التعرف على الرجل أو المرأة من شعر الرأس أمر متعذر فى هذه الأيام.. وماذا حدث بعد ذلك؟

– هبط الحجر من فوق القمة وتدحرج أولاً ببطء ثم زادت سرعته وسمعنا صوت انقضاضه وخيل إلى أننى سمعت فى ذات الوقت صرخة.. ولكنى لست واثقة من ذلك. – ثم؟

– أسرعنا نحو الأركان ورأينا الحجر فى الممر وتحته شخص..

– هل صدرت تلك الصرخة من مس تمبل؟

– أظن ذلك.. كان الموقف رهيبًا.

– وماذا حدث للشخص الذى رأيته فى قمة التل؟ أعنى الرجل أو المرأة ذات القميص الأحمر والأسود؟ هل بقى ذلك الشخص فى مكانه.

– لا أعلم.. فقد كنت أنظر إلى مكان الحادث وأهرول نحوه لأرى إذا كان بوسعى أن أفعل شيئًا.

– هل يمكن أن يكون ذلك الشخص أحد أعضاء الرحلة؟

– كلا.. إننى واثقة من ذلك لم أر بين أعضاء الرحلة من يرتدى مثل ذلك القميص.

– شكرًا لك يا مس كروفورد.

ودعى أملين برايس للشهادة فلم تختلف أقواله عن أقوال جوانا..

وأخيرًا قرر الدكتور ستوكس أنه لا توجد أدلة كافية توضح ما إذا كان الحادث متعمدًا أو قضاء وقدرًا، وأرجأ القضية أسبوعين.

زيـــارة

غـادر الجـمـيع قـاعـة الجلسـة فى صـمت، وسـار أعـضـاء الرحلة فى طريقهم إلى الفندق وكانوا يسرعون الخطى، فـتـخلفت مس مـاربل وتخلف معها الأستاذ وانستيد.

سألته أخيرًا: ماذا سيحدث الآن؟

– للقضية؟

– نعم.

– سوف يتولاها رجال الشرطة للقيام بمزيد من التحريات على ضوء الشهادة التى أدلى بها الشابان.. فليس فى وسع الدكتور ستوكس بعد هذه الشهادة أن يصدر قرارًا بأن الحادث وقع بالقضاء والقدر.

ووصلا إلى الفندق فى منتصف الساعة الواحدة. واقترحت مسز ساندبورن تناول بعض العصير قبل الغذاء، ثم قالت:

– لقد فهمت من الدكتور ستوكس ومن مفتش البوليس أن بوسعنا أن نستأنف الرحلة.. ستدفن مس تمبل فى الساعة الحادية عشرة

قبل ظهر غد وقد اتفقت مع قس القرية بشأن الجنازة. والرأى عندى أن نستأنف الرحلة بعد غد.

سيطرأ على البرنامج بعض التعديل بطبيعة الحال، وقد علمت من بعض الأعضاء أنهم يفضلون العودة إلى لندن، وأنا أفهم شعورهم ولن أحاول التأثير عليهم.. أن ما حدث يدعو إلى الأسف، ومازلت أعتقد أنه حدث قضاء وقدرًا.. وقد سبقته أحداث مماثلة فى نفس المكان. ومهما يكن من أمر فإن السلطات المحلية المختصة سوف تواصل التحقيق، ولذلك اقترح أن نكف عن مناقشة الحادث والتعقيب عليه. وأرجو أن يساعد استئناف الرحلة على صرفكم عن التفكير فيه.

وبعد الغذاء، انتقل وانستيد ومس ماربل إلى شرفة الفندق. وقال الأول: هل ستواصلين الرحلة يا مس ماربل؟

فأجابت: كلا.. وأظن أن ما حدث سيحملنى على البقاء هنا بعض الوقت. وثمة بعض تحريات أود أن أقوم بها.. وأنت؟

– يجب أن أعود إلى لندن، فلدى أعمال هناك اللهم إلا إذا رأيت أننى أستطيع أن أفيدك هنا شىء.

– كلا. فى استطاعتك أن ترحل إذا شئت.

– إننى لم أشترك فى هذه الرحلة إلا لأقابلك يا مس ماربل.

– وها نحن قد تقابلنا وأفضيت إليك بما أعلم.

– هل تشعرين بأن فى الجو ما يريب.. وأن بقاءك هنا ضرورى؟

– نعم.. خاصة بعد مصرع مس تمبل الذى أعتقد أنه لم يكن

مجرد حادث عرضى.. رغم كل ما قالته مسز ساندبورن.. وثمة أمر أظن أننى لم أذكره لك من قبل.. لقد قالت لى مس تمبل مرة أن رحلتها هذه كانت رحلة حج.

– ألم تقل لك إلى أين؟ أو لمن؟

– كلا.. ولو قد امتد عمرها قليلاً واستطاعت الكلام لصارحتنى. ولكن من سوء الحظ أن الموت دهمها بسرعة.

– وما رأيك أنت؟

– رأيى أن شخصًا شريرًا تعمد أن ينهى رحلتها قبل أن تصل إلى المكان الذى تقصد إليه.. أو إلى الشخص الذى تريد مقابلته.

– ألهذا قررت البقاء؟

– بل يوجد سبب آخر.. فإننى أريد أن أعرف المزيد عن فتاة تدعى نورا برود.

فنظر إليها فى دهشة وردد:

– نورا برود؟

– إنها فتاة أختفت فى نفس الوقت مع فيريتى هانت.. وأذكر أنك حدثتنى عنها.. كانت فتاة منحرفة سيئة السيرة.. وكان لها أكثر من صديق.

* * *

شهد الجنازة عدا أعضاء الرحلة أشخاص كثيرون رأت مس ماربل بينهم لافينيا وكلوتيلد وشخصين أو ثلاثة من أهل القرية يغلب على

الظن أنهم جاءوا بدافع الفضول بسبب ما أشيع من أن الحادث لم يكن بالقضاء والقدر..

وكان هناك أيضًا قس يناهز السبعين من العمر تبدو عليه مظاهر الضعف والمرض وقد رجحت مس ماربل أنه صديق قديم لمس تمبل، وأنه ربما قد جاء من مكان بعيد خصيصًا لشهود الجنازة.

وبعد مغادرة الكنيسة.. تحدثت مس ماربل مع زملائها وعرفت ماذا سيفعل كل منهم. عرفت أن بتلر وزوجته سيعودان إلى لندن وكذلك مستر كاسبار، أما الكولونيل ووكر وزوجته، ومس لوملى وصديقتها مس بنتهام، وكذلك مستر بورتر والمهندس جيمسون، فأنهم قرروا مواصلة الرحلة..

بقيت الصديقتان، مس بارو.. ومس كوك.

كان ترددهما واضحًا إلى أن حسمته مس بارو بقولها:

- أن المناظر الطبيعية هنا رائعة.. وأظن أننا سنبقى فى الفندق بعض الوقت. أو ليس هذا ما ستفعلينه أنت أيضًا يا مس ماربل؟

- أظن ذلك.. فليست لدى القدرة على الرحيل وأعتقد أن راحة يومين أو ثلاثة أيام هنا ستفيدنى كثيرًا بعد ما حدث.

* * *

وسار كل فى طريقه، وانحرفت مس ماربل فى شارع جانبى. وأخرجت من حقيبتها ورقة كانت قد سجلت عليها عنوانًا، وبعد قليل كانت تدق باب بيت صغير جميل فى نهاية الشارع قبل انحداره نحو المزارع.

وفتحت الباب سيدة ضئيلة الجسم فسألتها مس ماربل:

– هل أنت مسز بيلاكيت؟

– نعم يا سيدتى.. ذلك هو اسمى..

– أريد أن أتحدث إليك دقيقة أو دقيقتين فهل أستطيع الدخول..؟ أننى متعبة قليلاً وأشعر بدوار.

– أدخلى يا سيدتى. وتفضلى بالجلوس. هل أستطيع أن أفعل شيئًا من أجلك؟

– كلا.. شكرًا.. حسبى كوب ماء.

وعادت إليها مسز بلاكيت بكوب ماء.. وبحديث طويل عن قريب لها تعتريه نوبات من الدوار تلقيه أرضًا فى بعض الأحيان.

وبعد أن فرغت من حديثها قالت مس ماربل:

– قيل لى أنك عمة فتاة تدعى نورا برود.. فهل تعلمين أين أجدها؟

– لماذا؟

فأجابت مس ماربل كذبًا: أن قريبة لى فى كندا كانت مع نورا فى المدرسة، ويبدو أنها وجدت لها عملاً فى كندا.

فهزت مستر بلاكيت رأسها ببطء وقالت:

– نعم.. أن نورا ابنة أخى حقا.. ولكنها اختفت منذ وقت طويل.. خرجت ذات يوم ولم تعد.. كانت فتاة حمقاء لا تصلح لشىء.. وقد أشيع أنها قتلت.. لكننى لا أصدق ذلك.. خاصة وأنهم لم يجدوا جثتها.

– وهل كانت متقدمة فى دراستها؟

- أبدًا.. كانت خاملة.. ولا هم لها إلا مصاحبة الشبان، وأكبر الظن أنها هربت مع أحدهم.. وإنى أتوقع أن تعود ذات يوم بعد أن تكون قد تعلمت درسها، واكتشفت خواء كل الوعود المعسولة التى تسمعها من الشبان.

- ألم يكن هنا من تستطيع الذهاب إليها عدا أسرتها؟

- بل يوجد كثيرون كانوا يعطفون عليها.. هناك مثلاً أهل البيت القديم.. وخاصة مس كلوتيلد التى طالما أخلصت لها النصيحة.. وقدمت إليها الكثير من الهدايا والثياب.. ولكن الفتاة كانت تضرب بالنصائح عرض الأفق.. وتهرع إلى كل شاب يشير إليها باصبعه.

أعلم أنه لا يجدر بى- وأنا عمتها- أن أقول كلامًا كهذا.. ولكنها الحقيقة.

- وهل أبلغتم الشرطة عن اختفائها؟

- طبعًا.. ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة.. لقد ذهبت الفتاة دون أن تترك كلمة.. وقيل أنها ركبت سيارة أحد الشبان ولم يرها أحد بعد ذلك. أما أنا فأعتقد أنها الآن فى لندن أو فى مدينة كبرى أخرى حيث تعرض الفتيات مفاتنهن من أجل المال..

- هل كانت جميلة؟

- بل كانت من أجمل فتيات القرية. وكانت مفتونة بشعرها الأسود الطويل الجميل.

فقالت مس ماربل وهى تهم بالانصراف:

- لا شك أن قريبتى فى كندا تجهل كل هذه الحقائق عنها.. شكرًا يا مسز بلاكيت، ومعذرة عما أضعت من وقتك.

القس

عندما عادت مس ماربل إلى الفندق وهى لاهثة الأنفاس من التعب، هرعت إليها موظفة الاستقبال فى الفندق قائلة:

- يوجد هنا شخص يريد مقابلتك يا مس ماربل.. أنه القس بيرابازون.

فبدت الدهشة على وجه مس ماربل ورددت:

- القس برابازون..؟

- نعم.. قال أنه بحث عنك وعلم أنك فى الرحلة، ويريد أن يتحدث إليك قبل أن تعودى إلى لندن مع العائدين.. وقد أجلسته فى بهو التليفزيون بعيدًا عن الضوضاء.

فقصدت مس ماربل إلى البهو الذى ذكرته لها موظفة الاستقبال، ووجدت أن القس بيرابازون هو نفس القس العجوز الذى رأته فى الكنيسة فى الصباح..

ونهض الرجل واقفًا حالما رآها وقال وهو يقترب منها:

- مس جين ماربل؟

- نعم.. ذلك هو اسمى.. هل أردت..

- أنا القس بيرابازون.. وقد جئت صباح اليوم للاشتراك فى جنازة صديقة عزيزة هى مس اليزابيث تمبل.

- أحقًا؟ تفضل بالجلوس..

فجلس وقال: يجب أن أوضح لك سبب قدومى.. الواقع أننى مررت بمستشفى (كاريستون) وتحدثت إلى كبيرة الممرضات قبل ذهابى إلى الكنيسة.. وهى التى قالت لى أن اليزابيث طلبت قبل موتها مقابلة احدى أعضاء الرحلة واسمها مس جين ماربل، وأن مس ماربل زارتها وجلست معها فترة قصيرة قبيل الوفاة.

قال ذلك ونظر إلى مس ماربل بقلق، فقالت:

- هذا صحيح.. وقد ادهشنى أن ترسل مس تمبل فى طلبى.

- هل أنت أحدى صديقاتها؟

- كلا.. إنما قابلتها لأول مرة فى هذه الرحلة. وذلك مبعث دهشتى لقد تحدثنا معا وتعارفنا.. ولكنى لم أتوقع أن ترسل فى طلبى وهى مريضة .

- الواقع.. أنها جاءت فى هذه الرحلة لزيارتى أننى أقيم فى (فيلمنستر) التى كان مقررًا أن تصل إليها سيارة الرحلة بعد غد.. كانت زيارتها لى أمرًا متفقًا عليه بيننا، فقد أرادت التحدث إلى فى أمور تهمها..

- هل قالت لك ذلك؟ هذا كلام له مغزاه.

- أن ما أريد أن أسألك عنه الآن.. هو.. هل تعتقد أن رحلة الحج التى تكلمت عنها هى زيارتك؟

- أظن ذلك.

- لقد دار الحديث بينى وبينها عن فتاة تدعى فيريتى.

- آه.. نعم.. فيريتى هانت.. أنها ماتت منذ سنوات عديدة. فهل تعلمين ذلك؟

- نعم. ولكن مس تمبل حدثتنى عن أشياء لم أكن أعلمها. قالت لى أن الفتاة كانت مخطوبة لابن مستر رافيل.. ومستر رافيل صديقى.. أو كان صديقى وهو الذى دفع نفقات هذه الرحلة.. وأعتقد أنه كان يريدنى أن أقابل مس تمبل لعلها تستطيع أن تدلنى إلى ببعض المعلومات.

- معلومات عن فيريتى؟

- نعم.

أنها حرصت على مقابلتى لهذا الغرض. كانت تريد الوقوف منى على بعض الحقائق.

- كانت تريد أن تعرف لماذا فسخت فيريتى خطوبتها لابن مستر رافيل.

- أن فيريتى لم تفسخ الخطوبة.. وأنا واثق من ذلك تمام الثقة.

- هل كانت مس تمبل تعرف هذه الحقيقة؟

– كلا.. أنها كانت تشعر بالحيرة والتعاسة بسبب ما حدث وكانت تهدف من زيارتها لى إلى الاستفسار عن الأسباب التى حالت دون اتمام الزواج.

– وما هى هذه الأسباب؟ أرجو ألا تظن أننى أسأل بدافع الفضول.. أننى أقيم بمهمة وأود أن أعرف لماذا لم يتم الزواج بين مايكل رافيل وفيريتى هانت.

فحدق القس فى وجهها لحظة ثم سأل:

– هل لك صلة بهذا الموضوع؟

– أننى أنفذ ارادة رجل مات.. هذ الرجل هو والد مايكل رافيل..

فقال القس ببطء:

– لست أرى سببًا يمنعنى من مصارحتك بكل ما أعلم.. أنك تسألينني عن أمور كان فى نية اليزابيث تمبل أن تسألها. وهى أمور أنا نفسى أجهلها.

كان فى نية هذين الشابين أن يتزوجا.. وقد أعدا العدة لذلك، واتفقا معى على أن أعقد زواجهما.. وفهمت منهما أن الزواج سيكون سرًا..

وكنت أعرف الفتاة جيدًا.. منذ التحقت بمدرسة مس تمبل.. فلطالما أقمت الصلاة فى كنيسة المدرسة.

وكانت فيريتى من أجمل الفتيات، وأرجحهن عقلاً.. وأنبلهن خلقًا، وقد جاءت للإقامة مع مس كلوتيلد براد بورى عقب مصرع والديها فى

حادث طائرة.. فأحبتها كلوتيلد حبًا لا حد له، وفعلت كل ما فى طاقتها لاسعادها.. ووجد هذا صداه فى نفس فيريتى، فأحبت كوتيلد كما لو كانت أمها.

ولم تشأ كلوتيلد- وهى الذكية المثقفة- أن ترغم الفتاة على دخول الجامعة. وتركت لها اختيار طريقها، فاختارت الفتاة الفنون والموسيقى. وأقامت فى البيت القديم مع الشقيقات الثلاث، وكانت فيما أعلم جد سعيدة.

ولم أر فيريتى بعد أن أقامت هنا.. فإن (فيلمنستر) حيث أقيم، تبعد نحو ستين ميلا.. ولكنى كنت أكتب إليها وأتلقى ردها بمناسبة الأعياد المختلفة.

وجاءتنى ذات يوم، فإذا هى فتاة ناضجة على جانب كبير من الجمال..

وكان معها شاب وسيم.. هو مايكل.. ابن مستر رافيل.. وقالا لى أنهما متحابان.. ويريدان الزواج.

- وهل وافقت على عقد زواجهما؟

- نعم.. ولعلك تعتقدين أنه ما كان ينبغى لى أن أوافق.. ولكنى أدركت أنهما جاءا إلى سرًا. وتبادر إلى ذهنى أن الآنسة كلوتيلد براد بورى ربما لم توافق على هذا الزواج وحاولت أحباطه.. وإنهاء الصلة بين الشابين، ولها كل الحق فى ذلك. فإن مايكل رافيل لم يكن الزوج الذى تتمناه أية أم لابنتها.. كنت أعرف أباه وأعلم أنه كان مصدر متاعب لذويه منذ نعومة أظافره. وأنه تورط فى كثير من الجرائم..

ومثل أكثر من مرة أمام محاكم الأحداث وكانت له صلات بعديد من الفتيات، ودخل السجن مرتين.

صفوة القول أنه كان شابًا منحرفًا سيئ السيرة، ولكنه كان وسيمًا. فأحبته الفتيات وتورطن معه. وكان إلى جانب ذلك ذكيًا، كريمًا وفيا لأصدقائه.

وعندما رأيتهما أمامى، لم أتردد فى مصارحة فيريتى بكل ما أعلمه عن الشاب الذى تريد الاقتران به. ولكنى وجدت أنه لم يحاول أن يخدعها وأنه صارحها بحقيقته، وبمتاعبه مع القانون، ومغامراته مع الفتيات. والمآزق التى تورط فيها، والمشكلات والأحزان التى جلبها لأبيه.. ووعدها بأن يبدأ صفحة جديدة بعد الزواج.. وبأن كل شىء سوف يتغير.

فحذرتها بأن ذلك لن يحدث، وبأن شيئًا لن يتغير. وقلت لها أن الناس لن يتغيروا حتى ولو أرادوا.

فأجابت: أننى أعلم ذلك أيضًا يا أبتاه. ولكنى أحبه، وسأحاول أن أصلحه.. وقد أنجح فى ذلك وقد لا أنجح.. أنها مخاطرة وسأرضخ لتبعاتها.

وأقول لك يا مس ماريل أننى عقدت زواج كثيرين من الشباب. بعضهم سعد بالزواج، وبعضهم شقى به.. ولكنى كنت دائما أعرف بفراستى.. أيهم الصادق فى حبه.. وأيهم الكاذب المخادع.. ولست أعنى بالحب، الجاذبية الجنسية، فإن الجنس لا يمكن أن يحتل مكانة الحب. ولا يمكن أن ينجح إلا به.. أما الحب، فإنه العاطفة التى تتضمن كل معانى الزواج.. تتضمن الإخلاص المتبادل فى الغنى والفقر،

وفى الصحة والمرض.

وقد أحسست بأن هذين الشابين متحابان.. وبأنه لا توجد قوة يمكن أن تفرق بينهما إلا الموت.

وإلى هنا تنتهى القصة، وليس بوسعى أن أذكر المزيد لأننى لا أعرف ما حدث بعد ذلك.

كل ما أعرفه أننى وافقت على أن أزوجهما، وأننى أعددت التدابير اللازمة لذلك، وحددنا اليوم والساعة والزمان والمكان، وإذا كان هناك ما آلام عليه، فهو أننى وافقت على أن يكون الزواج سرًا.

– هل أراد ألا يعلم به أحد؟

– نعم. كانت فيريتى تريد ألا يعلم به أحد، ومن المؤكد أن مايكل كان يريد ذلك أيضا.. ولعلهما كانا يخشيان أن يوقف الزواج لسبب أو لآخر..

وأعتقد أن الزواج– بالنسبة إلى فيريتى، كان يعنى شيئًا آخر عدا الحب. كان يعنى رغبتها فى الفرار، وهى رغبة طبيعية تولدت من ظروف حياتها. فقد فقدت أبويها واستقبلت حياتها الجديدة وهى بعد تلميذة صغيرة خليقة بأن تفتتن بالشخصيات القوية أو المحبوبة أو الجميلة التى تراها فى محيط حياتها. مثل مدرسة الألعاب الرياضية أو مدرسة العلوم.. أو أية فتاة أكبر منها سنًا، تتخذها مثلها الأعلى. ولكنه افتتان لا يستمر طويلاً.. لأنه مجرد مرحلة طبيعية من مراحل الحياة.

ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الثانية حين تدرك الفتاة أن الشىء الذى تريده حقا هو الشىء الذى يكمل نقصها. هو صلة الرجل بالمرأة. ومن

ثم تبدأ بحثها عن أليف، فإذا كانت عاقلة. فإنها تتمهل حتى يأتى الأليف المناسب.

وقد كانت كلوتيلد براى بورى شديدة العطف على فيريتى.. وكلوتيلد لها شخصيتها كامرأة. فهى جميلة. وجذابة.. ومثقفة.. وأعتقد أن فيريتى فتنت بها بطريقة رومانتيكية وأن كلوتيلد أحبت فيريتى كما لو كانت ابنتها من لحمها ودمها.

وهكذا ترعرعت فيريتى ونضجت فى جو من الحب، وعاشت حياة سعيدة مثيرة، ولكنى أظن أنها لم تلبث أن أحست- دون أن تلاحظ ذلك- برغبة فى الفرار.. الفرار من الحب الذى يحيط بها ويتركز فيها.. الفرار فحسب.. دون أن تعرف كيف وإلى أين..

ولكنها عرفت حين قابلت مايكل. عرفت أنها تريد الفرار إلى الحياة التى يجتمع فيها الرجل والمرأة لإنجاب الجيل التالى.. غير أنها أدركت فى ذات الوقت استحالة اقناع كلوتيلد وحملها على فهم شعورها.. كانت تعلم أنها لن تعترف بهذا الحب ولن تقره وستعارضه بكل ما أوتيت من قوة.

وإنى أعترف الآن بأن كلوتيلد كانت على حق. وأن مايكل لم يكن الزوج الخليق بفيريتى.. وأن الطريق الذى سلكته الفتاة لم يقودها إلى حياة هنيئة وسعادة سابغة. وإنما قادها إلى الألم وخيبة الأمل بل وإلى الموت بأبشع صورة.

إننى أحس بعقدة الذنب يا مس ماربل.. لأننى لم أدرك غرض مايكل من كتمان أمر الزواج.. أما غرض فيريتى فكان مفهومًا.. كانت

كلوتيلد شخصية قوية وكان يمكن أن تؤثر على فيريتى وتقنعها بالعدول عن الزواج.

- هل تظن أنها فعلت ذلك؟ هل تظن أنها حدثتها عن مايكل بما يكفى لحملها على إهمال فكرة الاقتران به؟

- كلا.. ولو قد فعلت لاتصلت بى فيريتى وأنبأتنى.

- ماذا حدث فعلاً فى اليوم المحدد للزواج؟

- قلت لك أننا حددنا اليوم والساعة والمكان.. وفى الوقت المحدد، انتظرت العروسين.. ولكنهما لم يحضرا.. ولم يبعثا إلى بكلمة اعتذار.. وحتى الآن لم أعرف لماذا.. أننى أفهم أن يعدلا عن الزواج.. ولكن مالا أستطيع فهمه أو تصديقه هو ألا يبعثا إلى ولو بكلمة واحدة عن أسباب تخلفهما عن الموعد المتفق عليه.

ولهذا رجوت أن تكون اليزابيث تمبل قد قالت لك شيئًا فى هذا الصدد قبل موتها.. أو أن تكون قد حملتك رسالة لى.

- أنها كانت تريد أن تعرف ما لديك من معلومات أنا واثقة من أن ذلك كان غرضها من زيارتك.

- ربما كنت على حق.. أننى أفهم أن تكتم فيريتى أمر زواجها عمن يستطيعون أن يملكوا منعه، مثل كلوتيلد براد بورى أو أنثيا براد بورى.. ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تفضى به بطريقة ما، إلى شخصية تحبها ولها تأثير كبير عليها مثل اليزابيث تمبل.

- أظن أنها فعلت ذلك؟

- كيف؟

- انبأتها بأنها ستقترن بمايكل رافيل، فقد قالت لى مس تمبل: أننى أعرف فتاة تدعى فيريتى.. كانت على وشك الاقتران بمايكل رافيل»

والشخص الوحيد الذى كان فى استطاعته أن ينهى إليها هذا النبأ هو فيريتى.

إذن لابد أن تكون فيريتى قد كتبت إليها.. أو أنبأتها بطريقة ما.. ولما سألت مس تمبل: ولماذا لم يتم الزواج؟

أجابت: لأنها ماتت.

فتتهد القس وقال:

- أن كل ما أعلمه هو أن فيريتى ومايكل اتفقا على الزواج.. وفى الموعد المحدد، لم يظهر العريس ولم تظهر العروس، ولم يبعثا إلى بكلمة..

- أليست لديك أية فكرة عما يمكن أن يكون قدحدث؟

- أننى لا أعتقد أبدًا أن فيريتى ومايكل يمكن أن يكونا قد اختلفا وافترقا إلى الأبد.

- ولكن لابد أن شيئًا حدث بينهما.. شيئًا فتح عينى فيريتى على حقائق عن أخلاق مايكل وشخصيته لم تكن تعرفها من قبل.

- هذا جواب غير مقنع.. وحتى لو حدث هذا لكانت اتصلت بى وأنبأتنى.. ولم تتركنى فى انتظارهما. خاصة وأنها معروفة بالأدب والكياسة.. كلا.. كلا ليس هناك سوى شىء واحد يمكن أن يمنعها من القدوم أو الاعتذار.

- الموت؟

- نعم.. الموت..

- ماذا تعنين؟

- ذلك ما قالته مس تمبل.. سألتها «ماذا قتلها؟» فأجابت: «الحب». ثم استطردت قائلة أنه لا توجد فى الدنيا كلمة أشد رهبة من كلمة «الحب».

- أظن أننى فهمت..

- هل وجدت حلاً؟

- نعم.. أنه انفصام الشخصية.. أننى لست خبيرًا بالمسائل الطبية والتحليل النفسى.. ولكنى أعتقد أن مايكل رافيل كان ذا شخصيه مزدوجة فهو تارة شاب لطيف مهذب يبحث عن السعادة، وتارة أخرى شخصية مريضة مختلة العقل والشعور، لا تتورع عن قتل أحب الناس إليها لغير ما سبب.

- إنه حدث فعلاً..

- إذن لابد أنه حدث فى اليوم المحدد لعقد الزواج؟

- لا أعلم.. كل ما أعلمه أنه كان فى مقدمة المشتبه فيهم عقب اختفاء الفتاة.. وقد ظل موضع ريبة رجال الشرطة إلى أن وجدت الفتاة مخنوقة، ورأسها مهشمًا بطريقة وحشية لا يقدم عليها إلا مجنون.

فمرت بجسد مس ماربل رعدة شديدة واستطرد القس قائلاً:

- لطالما تمنيت.. ومازلت أتمنى أن يكون من قتلها شخصًا آخر

غير مايكل.. شخصًا مجنونا لا يعرف الناس مدى جنونه.. شخصًا قابلته مصادفة وركبت معه سيارته.. ثم..

– من المحتمل أن يكون هذا ما حدث فعلاً.

– لا أعلم. لقد كان موقف مايكل أثناء المحاكمة مزريا.. قال أكاذيب كثيرة لا معنى لها.. واستشهد بأصدقاء له كانوا أكذب منه.. كان مذهولاً. وخائفًا. ولم يقل شيئًا عن مشروع زواجه من فيريتى. ويبدو أن محاميه نصحه بذلك حتى لا يقال أن الفتاة حملت منه وأرادت أن ترغمه على الاقتران بها فتخلص منها بقتلها.. أننى لا أذكر التفصيلات بعد مضى كل هذه السنين.. ولكن الأدلة كانت كلها ضده.. وكانت جريمته مسطرة على وجهه..

واستطرد القس: أننى بائس وحزين يا مس ماربل، لأننى أسأت الحكم والتقدير ولم أفهم الطبيعة البشرية، فشجعت فتاة رقيقة طيبة على الذهاب إلى حتفها.

كنت أجهل الخطر الذى يترصدها، وأعتقد أنها إذا أحست بخوف منه، أو اكتشفت ناحية شريرة فى خلقه وطباعه، فإنها لن تتردد فى إنهاء علاقتها به. وصارحتنى بما اكتشفته.

ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.. ولذا أتساءل: لماذا قتلها؟ هل قتلها لأنه علم أنها ستلد؟ أو لأنه اتصل بفتاة أخرى ولم يشأ أن يرغم على الاقتران بفيريتى؟ أو لأن شيئًا فيه أخافها منه فقطعت صلتها فثارت ثائرته وقتلها ومثل بجثتها؟

لا أحد يعلم..

- ولكنك مازلت تعلم وتؤمن بأمر واحد..

- ما هو..؟

- هو أن هذين العاشقين كانا يتبادلان الحب وكانا يعتزمان الزواج فعلاً.. ثم حدث شيء منعهما من الزواج.. شيء انتهى بموت الفتاة.. ولولاه لحضرا إليك لعقد زواجهما..

- أصبت يا سيدتي العزيزة.. أنني لا أستطيع أبدًا أن أفقد إيماني بعاشقين أرادا الزواج ومواجهة الحياة بحلوها ومرها.. في الغنى والفقر.. وفي الصحة والمرض..

- لا تتزحزح إذن عن هذا الإيمان.. فإنني أيضًا أشاركك فيه..

- ولكن ماذا بعد ذلك؟

- لا أعلم.. ولكني أظن أن اليزابيث تمبل كانت تعرف أو بدأت تعرف حقيقة ما حدث.. لقد قالت أن الحب كلمة رهيبة، فظننت أن الفتاة انتحرت، ربما لأنها اكتشفت فيمن تحب شيئًا أزعجها. ولكن يبدو أن فكرة الانتحار في هذه الحالة مستحيلة.

- إن الإنسان لا ينتحر بتهشيم رأسه وتشويه وجهه.

- لا يستطيع أن يفعل ذلك بفتاة أحبها.. حتى ولو اضطر إلى قتلها بدافع (الحب).. إنه قد يقتلها خنقًا.. ولكنه لا يهشم الرأس ولا يشوه الوجه الذي أحبه.

ثم غمغمت قائلة:

- الحب.. يا لها من كلمة مخيفة!!!

وداع

وقفت السيارة بباب الفندق فى صباح اليوم التالى، استعدادًا لمواصلة الرحلة، واقتربت منها مس ماريل لتودع زملاءها..

ووجدت مسز بورتر تتميز غضبًا، وتقول بصوت مرتفع:

- ما أعجب الفتيات فى هذا الزمن!! لا نشاط.. ولا قوة.. ولا قدرة على الاحتمال.

فنظرت إليها مس ماريل متسائلة واستطردت مسز بورتر قائلة:

- أننى أعنى جوانا.. ابنة أخى.

- ماذا بها..؟ هل هى مريضة؟

- أنها تزعم بأنها تشعر بالتهاب فى الحلق، وارتفاع فى درجة الحرارة كلام فارغ طبعًا..

- هل أستطيع أن أفعل شيئًا من أجلها؟

- من رأيى أن تدعيها وشأنها.. كل هذه أعذار.

فنظرت إليها مس ماربل متسائلة مرة أخرى.. فقالت مسز بورتر:

- ما أغبى الفتيات.. دائمًا يقعن فى الحب.

- املين برايس؟

- أرى أنك لاحظت ذلك.. إنه شاب تافه لا يساوى قلامة ظفر.. شعر طويل.. وسروال ضيق، وقميص ملون.

وقلبت شفتيها احتقارًا واستطردت قائلة:

- يبدو أنهما اتفقا على التخلف هنا لزيارة بعض المناطق الجبلية على مسافة سبعة أو ثمانية أيام سيقطعانها سيرًا على الأقدام.

- ولكن. إذا كانت تشعر بالتهاب فى الحلق.. وارتفاع فى درجة الحرارة.. فإن..

- سوف ترين بمجرد رحيل السيارة أن الالتهاب قد زال وأن الحرارة قد هبطت.. آه.. أظن أنه قد حان موعد الرحيل.. وداعا يا مس ماربل.

ونظرت مس ماربل حولها ورأت وانستيد يلوح بيده مودعًا المسافرين فقالت له:

- أريد أن أتحدث إليك.. ألا يوجد هنا مكان هادئ.

- توجد الشرفة حيث كنا نجلس منذ يومين..

وخرجا إلى شرفة الفندق وهناك قال وانستيد:

- كنت أود أن أراكِ ترحلين بالسيارة فى أمان. ماذا يبقيك هنا.. التعب أم شىء آخر؟

– شيء آخر..

– لكن أود أن أبقى هنا لإعاونك وأسهر عليك!!

– كلا.. لا ضرورة لبقائك.. فهناك مهمة أخرى أريدك أن تقوم بها.

– وما هي هذه المهمة؟

فأخرجت من حقيبتها قصاصة من الورق قدمتها إليه وهي تقول:

– أريدك أن تذهب إلى هذا العنوان.. إنه عنوان أحدى الجميعات الخيرية.. سل هناك عن محتويات طرد أرسل إليهم من مكتب بريد هذه القرية منذ يومين.

فقال وهو يتناول الورقة:

– وهل لهذا الطرد شيء من الأهمية؟

– قد تكون لمحتوياته أهمية عظمى.

– أرى أن لديك معلومات تودين الاحتفاظ بسريتها..

– أنها ليست معلومات مؤكدة.. ولكنها مجرد احتمالات لا أستطيع أن أجزم بصحتها.

– هل ثمة شيء آخر؟

– أظن.. أظن أنه ينبغي لمن يهمهم الأمر أن يتوقعوا ظهور جثة ثانية..

– تعنين جثة ثانية لها صلة بالجريمة التي حدثت منذ نحو عشرة أعوام؟

– نعم.. أنا واثقة من ذلك.

– جثة ثانية؟ جثة من؟

– أظن أن لدى فكرة عن ذلك.

– وهل لديك كذلك فكرة عن مكانها؟

– أنا واثقة من أننى أعرف مكانها.. ولكن لم يحن الوقت بعد لكى أذكره لك.

– لمن الجثة؟ لرجل أم امرأة أم طفل؟

– إنها لفتاة أختفت من هنا منذ وقت طويل.. فتاة تدعى نورا برود.. وأظن أننى عرفت المكان الذى دفنت فيه.

فحدق وانستيد فى وجهها طويلاً ثم قال:

– كلما مضيت فى حديثك.. قويت رغبتى فى البقاء إلى جانبك لحراستك.

– كلا.. لا ضرورة لذلك.

– يخيل إلى من كلامك أنك تعرفين أشياء كثيرة.

– أظن أننى الآن أعرف أشياء كثيرة..

وفى هذه اللحظة فتح باب الشرفة ودخلت كوك ومس بارو.. فهتف وانستيد:

– هالو.. ظننت أنكما رحلتما بالسيارة.

فقالت مس كوك فى مرح:

– لقد عدلنا عن رأينا فى آخر لحظة. فقد وجدنا فى هذه المنطقة

بعض معالم تستحق الزيارة. منها كنيسة قديمة من عهد (السكسون) تقع على بعد أربعة أميال ويمكن الوصول إليها بالأوتوبيس المحلى.. أننى شديدة الاهتمام بهندسة الكنائس.

فقالت مس بارو:

- وأنا كذلك.. ولذلك فكرنا فى أن نقضى هنا يومين أو ثلاثة قبل أن نعود.

- هل ستقيمان فى هذا الفندق؟

- نعم.. من حسن الحظ أننا وجدنا به غرفة فسيحة جميلة أفضل من تلك التى أقمنا بها خلال اليومين السابقين.

وهنا هتفت مس ماربل إلى الأستاذ وانستيد وقالت:

- أظن أنك يجب أن تذهب الآن وإلا فاتك القطار.

- حسنًا.. انما أرجو.

- كن مطمئناً.. فأننى أعرف كيف أعنى بنفسى.



مس ماربل لها رأى

ما أن همت مس ماربل بارتشاف قهوتها فى شرفة الفندق بعد الغذاء حتى رأت شخصًا طويل القامة نحيفًا يقترب منها ويحدثها وهو لاهث الأنفاس.

كان ذلك الشخص هو لانثيا برادبورى..

قالت: كنا نظن أنك رحلت بالسيارة، وعلمنا الآن فقط أنك تخلفت عن الرحلة، وقد أرسلتنى كلوتيلد ولافينيا لكى أرجوك أن تعودى للإقامة معنا إلى أن يحين موعد رحيلك..

- سنكون سعداء حقًا إذا أنت استجبت لرجائنا.

فقالت مس ماربل:

- هذا كرم منكن.. الواقع أننى كنت أنوى الرحيل مع السيارة..

- ولكنى أحسست بعد ذلك الحادث المؤلم بأننى لن أستطيع مواصلة الرحلة.

إننى لا أشك فى ذلك.. ولست أنكر أننى نعمت معكن بالهدوء والراحة.. إن كل ما عندكن جميل.. البيت والأثاث.. والآنية.

- إذن يجب أن تعودى معى الآن..

- سأساعدك فى اعداد حقيبتك.

ولم يسع مس ماربل إزاء اصرار الفتاة الا أن توافق.. وبعد نحو نصف ساعة.. كانت تجلس مع الشقيقات الثلاث فى قاعة الاستقبال.

قالت لنفسها:

- هأنذا قد عدت مرة أخرى.

وأغمضت عينيها لحظة، وحاولت أن تسبر غور مشاعرها وانطباعاتها عندما دخلت البيت القديم للمرة الثانية.

هل شعرت بأن فى جو ذلك البيت ما يثير الريبة؟

كلا.. لقد كان الجو ينم عن الشقاء والتعاسة أكثر مما يبعث على الارتياب..

وفتحت عينيها ونظرت إلى لافينيا وكانت قد دخلت فى التو واللحظة حاملة أقداح الشاى..

أنها كالعهد بها امرأة عادية بسيطة خالية من العقد، وترى هل تروضت نفسها بعد حياة كلها شقاء ومتاعب على إخفاء حقيقة مشاعرها عن عيون الناس؟

ثم نظرت إلى كلوتيلد.. أنها تذكرها بامرأة اغريقية تدعى

(كليتمنسترا) تقول الأساطير أنها قتلت زوجها فى الحمام..

- ولكن من المحقق أن كلوتيلد لم تقتل زوجها.. لأنها لم يكن لها زوج قط كذلك لا يمكن أن تكون قد قتلت الفتاة التى قيل أنها كانت تحبها حب عبادة.. أنها واثقة من ذلك لأنها رأت الدموع تترقرق فى عينيها حين دار الحديث حول مصرع فيريتى.

وماذا عن أنثيا؟

أن أنثيا هى التى أرسلت الطرد بالبريد.

وأنثيا هى التى جاءت لتدعوها للإقامة فى البيت.

الواقع أنها لا تستطيع أن تفهم هذه الفتاة.. أن عينيها تدوران حولها بسرعة وكأنها تخشى شيئًا..

- ولكن ماذا تخشى؟ هل هى مريضة عقليًا وتخشى أن يعيدوها إلى المصحة التى قضت فيها بعض سنى حياتها؟ هل تخشى أن تظن أختاها أنه ليس من الحكمة أن تظل طليقة؟ هل تشفق أختاها مما قد تقوله أو تفعله؟

كان فى الجو شىء.. ولكن ما هو؟

* * *

وخرجت لافينيا بأقداح الشاى وانطلقت أنثيا إلى الحديقة. وبقيت كلوتيلد وحدها مع مس ماربل..

قالت هذه الأخيرة: هل تعرفين قسا يدعى بابازون؟

- نعم.. إنه كان فى الكنيسة أمس.. هل تعرفينه أنت؟

- كلا.. ولكنه زارنى فى الفندق وتحدث إلى. قال أنه ذهب إلى المستشفى بعد وفاة مس تمبل. وسأل عما إذا كانت قد تركت له رسالة. ويبدو أن مس تمبل كانت تنوى زيارته. وقد أجبته بأنها كانت فى غيبوبة طوال فترة زيارتى لها. وأنها لم تحملنى أية رسالة له..

فقالت كلوتيلد: ألم تقل شيئًا؟ ألم تقل أى شىء يوضح الحادث الذى أودى بحياتها؟

- هل تعتقدين أنه وقع قضاء وقدرا .. أو أن ما قالته جوانا كروفورد وأملين برايس أنهما رأيا شخصا يدحرج الحجر له نصيب من الصحة؟

- ما داما قد قالا ذلك فلابد أنهما رأياه.

ودخلت أنثيا فى هذه اللحظة وهى تحمل باقة من الزهور البيضاء.. قالت وهى تضحك ضحكة عصبية غريبة:

- لقد أحضرت باقة من الزهور الجنائزية..

- فعبست كلوتيلد وصاحت: أنثيا.. لا ينبغى أن تقولى كلامًا كهذا.

فضحكت أنثيا فى مرح وقالت: سأذهب لأضعها فى إناء.

وخرجت فقالت كلوتيلد

- أن حالتها تزداد سوءًا يومًا بعد يوم..

- هل يقلقك أمرها؟

إنها أصغرنا.. وكانت دائمًا معتلة الصحة شاذة فى تصرفاتها..

- ولكن من المؤكد أنها ازدادت سوءًا فى الفترة الأخيرة. لأنها لا تقدر المسئولية . وتضحك ضحكات هستيرية بلهاء حين لا يكون هناك ما يستوجب الضحك.. نحن لا نريد أن نرسلها إلى.. أى مكان آخر.. إنها بحاجة إلى العلاج ولكنها ترفض مغادرة البيت. إنه بيتها على كل حال.

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

- إن لافينيا تريد العودة إلى كوخها بالقرب من لندن. وأعتقد أنها تخشى أنثيا رغم أننى طالما قلت لها أنه ليس هناك ما تخشاه منها.. أنها تقول أشياء غريبة وتبدى أفكارًا شاذة فى بعض الأحيان.. ولكنها ليست خطرة..

لقد فكرت فى بيع هذا البيت، والانتقال إلى مكان آخر ، لعل تغيير البيئة والجو أن يفيداها.

- لا شك أن من بواعث ألمك وحزنك، أن تجدى نفسك هنا وسط كل ذكريات الماضى!!

أتدركين ذلك؟ أننى أعود بأفكارى دائما إلى تلك الابنة العزيزة المحبوبة.. كانت جميلة وذكية وفاتنة ممتازة، وكنت أحبها وأفخر بها.. ثم جاء ذلك المعتوه المريض العقل..

- تعنين مايكل رافيل؟

- نعم.. وليته ما جاء.. كان يقيم فى هذه المنطقة واقترح عليه أبوه أن يزورنا فجاء وتناول الطعام معنا.. وكان ظريفًا رغم انحرافه

وماضيه الحافل بالجرائم. ولم أتصور أبدًا أن فيريتى يمكن أن تقع فى حبائله. ظننت فى البداية أن الأمر مجرد افتتان. كما يحدث للفتيات عادة فى مثل هذه السن.. ولكنها تدلهت فى حبه، وصارت لا تفكر إلا فيه. وترفض سماع آية كلمة ضده. وتصر على أن كل ما حدث له، كان خارجًا عن ارادته ولا ذنب له فيه. وأن جميع الناس يناصبونه العداء ظلمًا. إلى آخر هذه العبارات الجوفاء المألوفة..

ولما لم تجد معها النصائح، حاولت أن أبعده عن البيت، وطلبت إليه أن يكف عن زيارتنا.. وكان ذلك خطأ بطبيعة الحال، أدركته فيما بعد، لأنها راحت تقابله خارج البيت فى أماكن مختلفة، كان ينتظرها بسيارته فى أماكن متفق عليها بينهما.. ويعيدها آخر الليل، وحدث مرة أو مرتين أنه لم يعدها إلا فى اليوم التالى. وحاولت أن أقنعهما بأن ذلك كان يجب أن ينتهى.. ولكنهما أبيا الاصغاء إلى..

– هل كان فى نيتها الاقتران به؟

– لا أظن أن الأمر وصل إلى هذا الحد.. ولا أعتقد أبدًا أنه أراد الزواج أو فكر فيه.

– مسكينة أنت.. لابد أنك تألمت كثيرًا.

– نعم.. وكانت أشد آلامى عندما دعيت للتعرف على جثتها. بعد أن اختفت مدة طويلة، وانقطعت أخبارها.. لقد تبادر إلى أذهاننا حين اختفت أنها فرت معه وتوقعنا أن يصلنا نبأ عنهما فى وقت قريب. ولكن رجال البوليس كانوا ينظرون إلى الموضوع بنظرة أخرى، فاستدعوا مايكل وطلبوا إليه أن يتعاون معهم فى البحث عنها.

وأخيرًا وجدوا جثتها فى مكان مهجور يبعد عن هنا نحو ثلاثين ميلاً. وذهبت إلى المشرحة لرؤيتها.. كان منظرًا مخيفًا. يدل على منتهى القسوة والوحشية. لماذا فعل بها ذلك؟ ألم يكفه أنه قتلها خنقًا؟ أواه.. لم أعد أطيق الحديث فى هذا الموضوع.

وانهمرت الدموع من عينيها.. فقالت مس ماربل:

– إننى جد آسفه.

فقالت كلوتيلد:

– إننى لا أكف عن التفكير فى فيريتى، وفى الطريقة البشعة التى قتلت بها. ولكنى أشعر ببعض العزاء أحيانًا عندما أفكر أن الفتيات قد أمن شر ذلك المنكود.. لقد حكم عليه بالسجن المؤبد. وهو سجين الآن ولن يسمح له بالخروج حيا حتى لا يرتكب جرائم أخرى. على أننى أتساءل، لماذا لم يرسلوه إلى احدى المؤسسات التى يضعون فيها المجرمين غير المسئولين. أعنى المجرمين ذوى العقول المريضة؟ أنا واثقة من أنه لم يكن مسئولاً عما فعل.

قالت ذلك ونهضت، وغادرت الغرفة فى لحظة دخول لافينيا.

قالت هذه وهى تجلس:

– لا تعبئى بكل ما تقوله كلوتيلد. أنها لم تبرأ تمامًا بعد من الصدمة التى أصابتها من مصرع فيريتى.. كانت تحب فيريتى بجنون.

– ويبدو أيضًا أنها قلقة على أختك الأخرى.

– أنثيا؟ إن أنثيا بخير. صحيح أنها عصبية سريعة الانفعال،

وتتخيل أمورًا بعيدة عن الحقيقة. ولكن ليس ثمة ما يدعو كلوتيلد للقلق عليها..

يا الهى.. من الذى يطل من النافذة؟

فنظرت مس ماربل، ورأت فى اطار النافذة وجهين مألوفين. وجهى مس بارو ومس كوك.

قالت الأولى:

– معذرة، فقد كنا نمر من هنا وخطر لنا أن نسأل عن مس ماربل. قيل لنا فى الفندق أنها جاءت للإقامة هنا.. آه.. أهذه أنت يا مس ماربل العزيزة. لقد أردت أن أقول لك أننا لن نذهب إلى تلك الكنيسة اليوم لأنها مغلقة بسبب أعمال الترميم والنظافة. ولكننا سنذهب غدًا.. وقد خطر لى أنك ربما تودين مرافقتنا إليها معنا غدًا.

أرجو أن تغفرى لنا وقوفنا أمام النافذة. الواقع أننى دققت الجرس فلم يدق.

فقالت لافينيا:

– إنه متقلب المزاج يدق تارة ويتمرد تارة أخرى.. لماذا لا تتفضلان بالدخول؟

– شكرًا.. أننا سنعود الآن إلى الفندق لتناول طعام العشاء.. ألا تأتين معنا يا مس ماربل؟

– كلا.. فقد تفضل آل براد بورى بدعوتى للإقامة هنا ليلة أخرى.

- ما أسعد حظك.. أنا واثقة من أنك ستجدين هنا الراحة التى تنشدينها.. والواقع. أن الجلبة فى الفندق لا تطاق..

فقالت لافينيا:

- لماذا لا تعودان بعد العشاء لتتناولا معنا قدحًا من القهوة؟

فقالت مس كوك:

- شكرًا لك.. سوف يسعدنا حقًا أن ننعم بكرم ضيافتك.



الساعة تدق الثالثة

عـــادت مس كـــوك ومس بارو إلى البيت القديم فى منتصف الساعة التاسعة تمامًا..

وقبل قدومهما، كانت مس ماريل تتناول العشاء مع الشقيقات الثلاث، فقالت أنثيا:

- أليس غريبًا أن تتخلف هاتان السيدتان عن الرحلة؟

فأجابت مس ماريل:

- وأية غرابة فى ذلك؟ لا شك أن لديهما خطة مرسومة وضعتاها بدقة متناهية.

- ماذا تعنين؟

- أعنى أنهما وضعتا فى حسابهما كافة الاحتمالات وأعدتا العدة لها..

- يخيل إلى أن فيهما شيئًا من الغموض.. ألا تظنين ذلك يا كلوتيلد؟

فأجابت كلوتيلد:

– لعلك على حق. فإن فى سلوكهما كثيرًا من الزيف.

فقالت مس ماريل:

– الواقع أننى لم ألاحظ ذلك.. ولكن دعونا منهما. لقد قضيت هنا اليوم وقتًا رائعًا. وغدًا صباحًا سأزور الحديقة وأتفقد زهور الشجيرات التى نبتت فوق أنقاض بيت الزهور. لقد رأيتها منذ يومين وكانت قد بدأت تتفتح، وأعتقد أننى سأجدها غدا باقة يانعة تذكرنى دائمًا بهذا البيت.

فقالت أنثيا:

– إننى أمقتها وأريد إزالتها لكى أقيم مكانها بيتًا جديدًا للزهور. وهذا ما سنفعله حتمًا متى توفر لدينا المال الكافى، أليس كذلك يا كلوتيلد؟

فقالت كلوتيلد:

– أظن أننا بحثنا هذا الموضوع مرارًا.. ثم ما حاجتنا الآن إلى بيت للزهور؟

فقالت لافينيا:

– لا ضرورة لهذه المناقشات العقيمة.. هلموا بنا إلى قاعة الاستقبال فقد حان موعد قدوم ضيفتينا..

* * *

وجاءت الضيفتان، فقدمت كلوتيلد لكل منهما قدحًا من القهوة. ثم انطلقت إلى المطبخ وعادت بقدح ثالث وضعته أمام مس ماربل فقالت

مس كوك:

– معذرة يا مس ماربل. لو أننى فى مثل سنك ما شربت القهوة فى مثل هذه الساعة. أنها سوف تصيبك بالأرق.

– أتظنين ذلك؟ أننى تعودت احتساء القهوة فى المساء.

– نعم، ولكن هذه القهوة قوية ومركزة.. ونصيحتى لك ألا تشربيها.

فنظرت إليها مس ماربل، ورأت على وجهها دلائل. ولاحظت أنها غمزت قليلاً بعينيها، فقالت:

أظنك على صواب.. هل توفرت على دراسة أصول التغذية؟

– تلك احدى هواياتى.. وقد تدربت كذلك على التمريض.. فإن كلا منهما يرتبط بالآخر.

– هذا صحيح.

ونحت مس ماربل القدح جانبًا وقالت:

– هل لديكم صورة لتلك الفتاة؟ أعنى فيريتى هانت؟ لقد أطنب القس فى وصفها، ويبدو أنه كان يحبها.

فقالت كلوتيلد:

– أنه كان يحب جميع الشباب..

وسارت إلى مكتب صغير فى ركن الغرفة، وفتحت أحد الأدراج، وتناولت منها صورة قدمتها إلى مس ماربل وهى تقول:

– إليك صورتها.

- فهتفت مس ماربل وهى تتأمل الصورة:

- يا له من وجه فاتن.. إنه وجه غير عادى.. مسكينة تلك الفتاة.

فقالت أنيثيا:

- من المزعج أن ما حدث لها.. مازال يحدث لكثير من الفتيات.. إنهن يصادقن كل من هب ودب من الشباب دون أن يهتم أحد بتبصيرهن وتوجيههن الوجهة السليمة:

فقالت كلوتيلد:

- إن على الفتيات فى هذه الأيام أن يحرصن على أنفسهن. ولكنهن لا يعرفن كيف. كان الله فى عونهن.

ومدت يدها لتسترد الصورة من مس ماربل، ومس كمها قدح القهوة فسقط على الأرض..

وهتفت مس ماربل فى انزعاج:

- يا الهى.. هل أنا السبب؟ هل دفعت ذراعك دون أن أشعر؟

فقالت كلوتيلد:

- كلا.. أنه كم ثوبى.. هل أحضر لك قدحًا من اللبن الدافئ ما دامت القهوة لا تلائمك؟

- أكون شاكرة لو فعلت.. إن اللبن الدافىء يلطف من توتر الأعصاب قبل النوم.

وبعد حديث قصير، استأذنت مس كوك ومس بارو للانصراف،

وأحدثتا عند رحيلهما جلبة وهرجًا لا مبرر لهما.. إذ نسيت أحداهما حقيبة يدها فعادت مهرولة لتأخذها.. ونسيت الأخرى منديلها وفعلت المثل.. وما أن انصرفتا حتى تنفست أنثيا الصعداء وقالت:

- ضجيج.. ضجيج.. ضجيج لا نهاية له.

فقالت لافينيا:

- أننى أؤيد كلوتيلد.. فى أن بهما شيئًا من الزيف.

وقالت مس ماربل:

- ذلك رأيى أيضًا.. لقد فكرت فى أمرهما طويلاً وتساءلت لماذا اشتركتا فى هذه الرحلة.. وهل استمتعتا بها.. وما سبب قدومهما.

فسألتها كلوتيلد:

- وهل عرفت الإجابة على كل هذه الأسئلة؟

فتنهدت مس ماربل وقالت:

- أظن ذلك.. أننى عرفت جواب كثير من الأسئلة.

وأحضرت كلوتيلد من المطبخ قدحًا من اللبن الدافئ ورافقت مس ماربل إلى غرفتها وهناك سألتها: هل تحتاجين إلى شىء آخر؟ أى شىء؟

- كلا.. أننى شاكرة لك ولأختيك ما فعلتن من أجلى.

- ما كان ينبغى أن نفعل أقل مما فعلنا.. خاصة بعد أن تسلمنا رسالة مستر رافيل..

- لقد كان رجلاً كريمًا ذا عقل مرتب.

– وأعتقد أنه كان كذلك من كبار رجال المال.. هل أرسل لك طعام الإفطار فى الصباح؟ ربما تفضلين عدم مغادرة غرفتك..

– كلا. كلا. لن أكلفك كل هذا العناء. سأتناول الافطار فى قاعة الطعام.

– إذن طابت ليلتك.. وأتمنى لك نومًا هنيئًا.

* * *

دقت الساعة فى بهو البيت القديم الثانية.

كان بالبيت أكثر من ساعة، وكلها لا تدق معًا.. وبعضها لا يدق أبدًا.

وبعد ساعة، دقت ساعة الطابق الأول الثالثة، ورأت مس ماربل ضوءًا ينبعث من الفراغ تحت باب غرفتها.. فأعتدلت جالسة فى فراشها. ووضعت أصبعها على زر المصباح الكهربائى.

واختفى الضوء، وفتح الباب بهدوء، وسمعت مس ماريل وقع خطى بطيئة لا تكاد تسمع، فضغطت رز المصباح.. وتألق النور فى الغرفة.

هتفت:

– آه.. أهذه أنت يا مس كلوتيلد؟

– نعم.. ظننت أنك ربما كنت بحاجة إلى شىء.

فصعدتها مس ماربل بعينيها.

كانت ترتدى غلالة حمراء طويلة، زادت قوامها الفارع طولاً.. وقد انسدل شعرها الأسود الجميل على كتفيها العريضتين.. فلم تتمالك

مس ماربل من الاعجاب بها.. وإن كان مظهرها قد ذكرها على الفور ببطلة احدى المسرحيات الأغريقية.. بتلك المرأة التى قتلت زوجها فى الحمام.

قالت كلوتيلد:

- هل أنت واثقة من أنك لست بحاجة إلى شىء؟

- نعم.. شكرًا لك.

ثم استطردت قائلة بلهجة الاعتذار:

- يؤسفنى أننى لم أشرب اللبن.

- لماذا بحق السماء؟..

- ظننت أنه لا يلائمنى ...

فوقفت كلوتيلد بجانب الفراش وحملقت نحوها.. فأكملت مس ماربل عبارتها بقولها:

- من الناحية الصحية.

فقالت كلوتيلد بخشونة:

- ماذا تعنين؟

- أظن أنك تعرفين ما أعنى.. بل لعلك تعرفينه منذ المساء. وربما قبل ذلك أيضًا.

- لست أفهم شيئًا مما تقولين.

- حقًا؟

- قالت ذلك بصوت يجمع بين السخرية والاستفسار ولكن كلوتيلد تجاهلت السؤال وقالت:

أظن أن اللبن أصبح باردًا.. سآتيك بكوب آخر دافئ.

ومدت يدها وتناولت كوب اللبن فقالت مس ماربل:

- لا تزعجى نفسك.. لأنك لو أحضرت كوبًا آخر فلن أشربه

- الواقع أننى لا أفهم ما تعنين.. أنك غريبة الأطوار حقًا.. فأية امرأة أنت؟ ولماذا تتكلمين هكذا؟ من أنت؟

- أننى أمثل العدالة الالهية التى تبطئ أحيانا ولكنها تأتى فى النهاية.

- مازلت لا أفهم عن أى شىء تتحدثين..

- عن فتاة جميلة قتلتيها.

- فتاة قتلتها؟

- فتاة تدعى فيريتى

- ولماذا أقتلها..

- لأنك كنت تحبينها.

- طبعا كنت أحبها بل كنت أعبدها.. وكانت بدورها تحبنى.

- لقد قال لى بعضهم منذ وقت ليس ببعيد أن الحب كلمة مخيفة.

أنك أحببت فيريتى حبا جما. وكانت كل شىء فى الدنيا بالنسبة إليك.

وكانت هى بدورها تحبك وتخلص لك إلى أن طرق قلبها حب آخر مختلف تمامًا..

فقد أحبت شابًا لعله لم يكن خير نموذج للشباب، ولكنها أحبته، وأحبها، وأرادت الخلاص من قيود الحب الذى تعيشه معك لكى تحيا حياتها مع الرجل الذى وقع عليه اختيارها ليكون أبا لأولادها.

فجلست كلوتيلد على مقعد بجوار الفراش وقالت بهدوء:

– يخيل إلى أنك فهمت كل شىء.

– نعم، لقد فهمت كل شىء.

– أن ما ذكرته صحيح. ولن أنكره. ولا يهم الإنكار أو عدمه.

– صدقت.. فلا أهمية للإنكار.

– هل يمكنك أن تدركى كم تعذبت؟

– نعم.. أستطيع أن أدرك ذلك.

– هل تدركين مدى شقاء الشخص الذى يعلم أنه سيفقد أحب شىء فى الدنيا إلى قلبه؟ ويفقده من أجل شاب منحرف لا خلاق له؟ شاب تعس غير جدير بالمخلوقة الجميلة الرائعة التى أحببتها أكثر من نفسى؟

كان لابد لى أن أمنع هذه الجريمة.

– وهكذا آثرت أن تقتلى الفتاة بدلاً من أن تسمحى لها بالذهاب إلى حيث تريد. قتلتيها لأنك أحببتها..

– أتظنين أنه كان فى استطاعتى أن أفعل شيئًا كهذا؟ أتظنين أنه كان فى مقدورى أن أخنق الفتاة التى أحببتها؟ أتظنين أنه كان فى مقدورى أن أهشم رأسها وأشوه وجهها؟

ذلك لا يفعله إلا رجل فاجر شرير لا يعرف معنى الرحمة.

– نعم.. أننى أعلم أنك كنت تحبين الفتاة ولا يمكن أن تفعلى ذلك.

– أرأيت.. أنك تناقضين نفسك؟

– أنت لم تفعلى ذلك بالفتاة التى كنت تحبينها. لأن فيريتى مازالت هنا.. إنها فى الحديقة وأكبر الظن أنك لم تخنقيها.. وإنما قدمت إليها قدح قهوة أو كوب لبن به كمية كبيرة من مادة منومة، ولما ماتت حملتها إلى الحديقة ودفنتها تحت أنقاض بيت الزهور وغرست فوقها من الأعشاب المتسلقة ما حجبها تمامًا.

– إن فيريتى بقيت معك هنا لأنك أبيت أن تتخلى عنها.

– أيتها الحمقاء.. أيتها العجوز الحمقاء.. هل تظنين أنك ستغادرين هذا المكان وأنت على قيد الحياة لكى تروى هذه القصة.

– إننى لست واثقة من ذلك، خاصة وأنك امرأة قوية.. وأقوى منى كثيرًا..

– يسرنى أنك تدركين ذلك.

– وأنت فضلاً عن ذلك بلا قلب أو ضمير.. أننى لاحظت من تجاربى أن القاتل قلما يقنع بجريمة واحدة.. وأنت قد قتلت فتاتين.. الفتاة التى أحببتها. وفتاة أخرى عداها..

– هل تعنين نورا برود؟ أنها كانت بغيا بلهاء.. كيف علمت بأمرها؟

– أننى فهمت مما رأيت وسمعت، أنك لا يمكن أن تقدمى على خنق الفتاة التى أحببتها وتشويه وجهها بتلك الطريقة البشعة. ثم علمت أن فتاة أخرى قد اختفت فى ذات الوقت ولم يعثر على جثتها.. وهدانى تفكيرى إلى أن الجثة التى وجدت، لابد أنها كانت جثة نورا برود فى ثياب فيريتى هانت.. وأنك عندما دعيت للتعرف عليها.. أكدت أنها جثة فيريتى هانت.

– ولماذا أفعل أمرًا كهذا؟

– لأنك أردت للشاب الذى انتزع منك فيريتى.. الشاب الذى أحب فيريتى وأحبته.. أردت له أن يحاكم بتهمة قتلها.. ولذلك واريت جثة فيريتى حيث يتعذر العثور عليها، وواريت جثة الفتاة الأخرى فى ذلك المكان المقفر، بعد أن شوهت وجهها، وألبستها ثياب فيريتى، ووضعت معها حقيبة فيريتى ورسالة أو رسالتين باسمها، وسلسلة ذهبية كانت تتحلى بها.

ومنذ أسبوع، ارتكبت جريمة ثالثة.. هى جريمة قتل اليزابيث تمبل.. قتلتيها لأنها جاءت إلى هذه المنطقة. ولأنك خشيت أن تكون قد تلقت من فيريتى معلومات إذا ضمت إلى ما يعلمه القس برابازون أمكن أن تظهر الحقيقة.

ولم كنت امرأة قوية، فقد أمكنك انتزاع ذلك الحجر من مكانه والقائه عليها.. ولابد أن يكون ذلك قد كلفك كثيرًا من الجهد.. ولكنك امرأة قوية.

فقالت كلوتيلد:

- نعم.. ومن القوة بحيث أستطيع الاجهاز عليك.

- لا أظن أنه سيسمح لك بذلك..

- ماذا تعنين أيتها العجوز الشمطاء الحقيرة؟

- صحيح أننى عجوز شمطاء لا حول لى ولا قوة ولكنى أعتبر نفسى ممثلة للعدالة.

فضحكت كلوتيلد ساخرة وقالت:

- ومن الذى يمنعنى من الاجهاز عليك يا ممثلة العدالة؟

- ملاكى الحارس.

فضحكت كلوتيلد مرة أخرى وقالت:

- وهل لك ملاك حارس؟

- بل ملاكان حارسان.. أن مستر رافيل يفعل كل شيء دائما على نطاق واسع.

ومدت يدها تحت وسادتها وأخرجت صفارة رفعتها إلى شفتيها. ودوى الصفير فى سكون الليل.. فحدث أمران فى وقت واحد، إذ فتح الباب وظهرت مس بارو على عتبته..

وفى نفس اللحظة، فتح دولاب الملابس، وخرجت منه مس كوك..

وتقدمت المرأتان وعلى وجهيهما دلائل الجد.. وفى عيونهما نظرة تختلف تماما عن تلك النظرات البريئة التى رأتها فى عيونهما قبل بضع ساعات.

وهتفت مس ماريل قائلة:

- ملاكان حارسان... لقد رفع رافيل من قدرى. وجعل لى من الأهمية أكثر مما أستحق.



مس ماربل تروى قصتها

قال وانستيد للعجوز ذات الشعر الأبيض التى تجلس أمامه:

– متى اكتشفت أن المرأتين كانتا من الشرطة، وإنما ما اشتركتا فى الرحلة إلا لحمايتك؟

كانا يجلسان فى أحد المكاتب الحكومية بلندن ومعهما أربعة أشخاص آخرون هم:

ـ أحد كبر الموظفين بمكتب المدير العام والسير جيمس لويد مساعد مدير اسكتلنديارد، والسير اندريا ماكنيل مدير سجن مانستون، أما الرابع فكان وزير الداخلية.

وأجابت مس ماربل:

– لم أكتشف ذلك إلا فى الليلة الأخيرة، عندما حذرتنى مس كوك بوضوح من تناول قدح القهوة، ثم عندما شدت احداهما على يدى وهى تهم بالانصراف ودست فيها الصفارة التى استخدمتها فيما بعد.

– ألم تتناولى كوب اللبن؟

– كلا طبعًا .. من تظنني؟

- مما يثير دهشتى.. أنك لم تغلقى باب غرفتك.

- لو أننى فعلت لكان ذلك خطأ جسيما..

- لقد أردت أن تدخل كلوتيلد غرفتى لأرى ماذا ستفعل أو تقول.. كنت واثقة من أنها ستأتى بعد انقضاء الوقت الكافى لتستوثق من أننى شربت اللبن وفقدت الوعى.

- هل ساعدت مس كوك على الاختباء فى الدولاب؟

- كلا..

- إننى دهشت حينما رأيتها تخرج منه.. ويبدو أنها توارت فيه عندما خرجت من غرفتى لأذهب إلى الحمام.

- وهل كنت تعلمين أنهما فى داخل البيت؟

- توقعت بعد الصفارة أن تكونا فى مكان قريب، وأظن أنهما لم تجدا صعوبة فى التسلل إلى داخل البيت لعلهما فتحتا احدى النوافذ من الداخل خلسة عندما زارتا البيت فى المساء. وأحدثتا جلبة وهرجا بلا مبرر.

- أنك عرضت نفسك لخطر جسيم يا مس ماربل.

- لا يستطيع الإنسان أن يمضى فى الحياة قدما دون أن يتعرض لأخطار.

- وبهذه المناسبة.. أن فكرتك عن الطرد الذى أرسل بالبريد إلى الجمعية الخيرية كانت صحيحة. فقد وجد بداخله ذلك القميص ذو

المربعات الحمراء والسوداء. ولكن كيف طرأت لك هذه الفكرة؟

– كان واضحًا من وصف جوانا واملين للقميص أن الغرض من اختيار ألوانه الصارخة هو لفت الأنظار.. وكان من المهم والضرورى أن يختفى هذا القميص تمامًا بحيث لا يعثر له أحد على أثر.. وهل هناك طريقة للتخلص منه أفضل من ارساله إلى احدى الهيئات الخيرية فى مكان بعيد؟

لقد تبلجت هذه الفكرة فى ذهنى حين رأيت أنثيا تحمل الطرد إلى مكتب البريد.

– ومتى بدأت ريبتك فى كلوتيلد؟

– حين قالت اليزابيث تمبل أن الفتاة ماتت بسبب الحب، وقال الأب برابازون أن مايكل كان مخلصًا فى حبه.. وأن العاشقين لم يحضرا إليه فى الوقت المحدد، لأن شيئًا أقوى من ارادتهما حال دون ذلك. وأن الموت قد يكون هو الحائل.. وحين رأيت أنقاض بيت الزهور فى ركن الحديقة، تغطيها تلك النباتات الطفيلية التى تقتل كل ما حولها ولا تترك على سجيتها إلا لإخفاء منظر يؤذى العيون.. ولاحظت ذعر أنثيا ورغبتها فى الفرار من ذلك المكان.. ثم حين سمعت ما سمعت عن مدى حب كلوتيلد لربيبتها. تبادر إلى ذهنى على الفور أن ذلك الحب الأنانى هو الحب الذى يمكن أن يقتل... الحب الذى وصفته اليزابيث تمبل بأنه يمكن أن يكون شيئًا مخيفًا.

– هل تعلمين ماذا حدث فى تلك الليلة بعد انصرافك من البيت القديم؟

– تعنى ما حدث لكوتيلد؟

ـ أعلم أنها اختطفت كوب اللبن المسموم وتجرعته.

– هل كنت تتوقعين ذلك؟

– كلا..

ـ ولو قد توقعته لما استطعت أن أفعل شيئًا.. فقد اختطفت الكوب بطريقة مذهلة.. وتجرعته قبل أن يتمكن أحد من ان يتبعها. وأعتقد أنها بذلك قد فعلت الأمر الطبيعى، وأنها كانت تتوق إلى الفرار من جثة فيريتى التى ظلت تطل عليها من الحديقة وتعذبها بها كل يوم طوال عشرة أعوام.

تمت

